تونس.. مطرقة المشروع الإيراني وسندان التشيّع

أوراق إيرانية 03
سبتمبر/أيلول 2022م
سلسلة يصدرها
مركز الخليج للدراسات الإيرانية (لندن – القاهرة)

تونس.. مطرقة المشروع الإيراني وسندان التشيّع

د. عبد القادر نعناع
د. خميس بن علي الماجري

تقديم
المشروع الإيراني في تونس

يومًا بعد يوم، يكتسب المشروع الفارسي الإيراني في المنطقة العربية، الطابع الإمبريالي التوسعي، وذلك من خلال الدفع نحو الهيمنة على مزيد من البيئات العربية، وصولًا إلى تحقيق حالة التبعية المطلقة لحكم المرشد في طهران.

ومن الملفت للنظر، أن عملية الاستهداف ضمن المشروع الفارسي الإيراني موجّهة دائمًا تجاه بيئات عربية بعينها، ترى فيها إيران مجال نفوذها الاستراتيجي الإمبريالي، أو ما تعتبره «فراغًا استراتيجيًا»، بالتوافق مع المتغيرات القائمة في بيئة النظام الدولي، وبما يسمح لها بالمناورة والمساومة والتعاون.

وشكلت تونس بعد ثورتها بيئة رخوة، سياسيًا وأمنيًا، قابلة للاختراق نتيجة هشاشة البنى ما بعد الثورية وعدم اكتمال تشييدها، في مرحلة انتقالية تعجّ بكثير من الاضطرابات والإشكالات الناجمة عن الثورة وعن النظام السابق. وهو حال كافة الدول الثورية، لكنها ذات حدة أقل في تونس منها في نظيراتها الثوريات، نتيجة طبيعة البنية الفكرية الأكثر انفتاحًا لدى المجتمع التونسي، ما سهّل توسيع إطار الحريات المقامة بعد الثورة، بل وسهّل استغلالها.

ولذلك، عملت إيران على توظيف هذا المتغير، عبر إدراج طرح تاريخي من خلال كتّاب إيرانيين وتونسيين، عن التاريخ المترابط والمتزامن بين الدولتين،

بربط الدولة الفاطمية «ذات القيادة الشيعية»، بإيران، في محاولة خلط ثقافي - تاريخي، باعتبار أن المذهب الشيعي مذهب فارسي. فيما كانت «فارس» ساعتها إحدى ولايات الإمبراطوريات العربية، ذات الهوية السنية السائدة.

هذا الخلط دفع فئات من المجتمع التونسي إلى ربط عاطفي بين تاريخ «الدولة الفاطمية» الوجيز في بلادهم، مع دولة إيران حديثة التشكّل، وأسهم في ذلك ترويج عدد من الكتّاب لكتابات مضطربة حول دور فارس في بناء تونس وفي تشكيل الهوية التونسية، بل وتجاوز ذلك إلى اعتبار المنجز الحضاري العربي في تونس، مجرد تفصيل أثراه الفرس وحدهم!

وعمل نظام الملالي منذ يناير/كانون الثاني 2011، إثر الإطاحة بنظام الرئيس السابق زين العابدين بن علي، إلى استغلال حالة الفراغ السياسي والأمني، بهدف التغلغل في المجتمع التونسي، من خلال بعض الأحزاب والجمعيات والنخب الثقافية والأكاديمية بواسطة المال والاستضافات والمنح الدراسية والترويج الإعلامي، وغير ذلك.

من جهة ثانية، تقاطع الفكر «الإخواني» في تونس، ممثلًا في زعيم «حركة النهضة» راشد الغنوشي، تقاطعًا كبيرًا مع المصالح الإيرانية الإمبريالية في البلاد، حيث تستند طهران إلى آليات توظيف الدين في خدمة المصالح السياسية، ما أدى إلى رعاية إيرانية لاحقة لتكتلات «الإخوان» في كثير من الدول العربية، وعلى رأسها تونس.

وتؤكد مقولات الغنوشي، بما لا يدع مجالًا للشك في تماهى الرجل مع أدبيات المشروع الإمبريالي الشيعي تمامًا، أن تطوّر المسار الفكري لحركة (النهضة) تأثر بما يسمى «الثورة الإسلامية في إيران»، والقيم التي بشرت بها، وخاصة مبادئ «الانتصار للمستضعفين ومواجهة الظلم والاستكبار».

ولم يعارض الغنوشي أيّ اتّفاق مع إيران، سواء كان ثقافيًّا أو علميًّا أو اقتصاديًّا أو سياحيًّا، هذا فضلًا أن يُغلق مراكز إيران في تونس أو يجمّد نشاط توابعها من نشطاء الشّيعة بتونس لمّا حكم تونس بعد ما يُسمّى ثورة، بل شارك في مؤتمراتها أو غيرها في إيران أو في سفارتها في تونس في كلّ مناسبة كحضوره بمناسبة الاحتفال بالذكرى 37 للثورة الإيرانية الطائفية، كما حرص أيضًا على توجيه الدّعوة لسفيرها لحضور مناسبات «حركة النهضة»، سواء كانت سياسيّة أو دينيّة.

وهاتان الدراستان، «تمدد الإمبريالية الإيرانية إلى تونس: الإسنادات والأدوات وما بعد الترسيخ»، للدكتور عبد القادر نعناع، و»الإخوان وإدخال التشيع إلى تونس.. راشد الغنّوشي نموذجًا»، للدكتور خميس بن علي الماجري، ترصدان كيفية اختراق إيران للمجتمع التونسي، وكيف حركت طهران متشيعيها في تونس، مستفيدين من أجواء الحرية غير المحدودة، فكشفوا عن نواياهم، وبدأت أنشطتهم تخرج إلى العلن، فكانت المسارح والشوارع ميدانًا لاحتفالاتهم وطقوسهم، بل بلغ الأمر بهم حد اقتحام الميدان السياسي عبر قائمة سياسية تعرف باسم «قائمة أمل تونس الحديثة».

وتكشف الدراستان، التدابير الإيرانية التي أدت إلى وقوع تونس خلال الأعوام الأخيرة، بين مطرقة المشروع الإيراني وسندان التشيّع، الأمر الذي لاقى معارضة شعبية كبيرة في أوساط التونسيين، حيث تسبب المد الشيعي الإيراني المتنامي في تونس في ردود فعل شعبية غاضبة، وارتفعت المطالب من كل اتجاهات الطيف التونسي الديني والشعبي والثقافي والاجتماعي، بضرورة التصدي للغزو الإيراني للبلاد، وحماية تونس من مخاطر المشروع الإمبريالي الإيراني المتنامي.

شريف عبد الحميد

رئيس مركز الخليج للدراسات الإيرانية

الدراسة الأولى
تمدد الإمبريالية الإيرانية إلى تونس: الإسنادات والأدوات وما بعد الترسيخ

د. عبد القادر نعناع

تتوالى التصريحات الإيرانية بسلمية سياستها الخارجية وعلاقاتها البينية مع الدول العربية، في تناقض واضح مع السلوك الخارجي الإيراني المتّسع باستمرار، مستنداً إلى جميع الأدوات المتاحة له، بدءاً من أدوات القوة الناعمة المرتكزة على ربط البيئة المستهدفة عبر جملة اتفاقيات تعاون مشترك في عديد من المجالات، وتوظيف للتاريخ وفق قراءات مجتزأة، وصولاً إلى إعادة تشكيل الحاضن الاجتماعي الثقافي - الديني للبيئة المستهدفة من خلال إعادة تمذهبه شيعياً.

لتنتقل إيران في مشروعها إلى مراحل متقدمة، عبر توظيف أدوات قوتها الصلبة، والتي بلغت أقصاها في العراق ولبنان واليمن، وكان أشدها إجراماً في سورية، عبر إسناد نظام الأسد بالسلاح والميليشيات، بل الإشراف والمشاركة المباشرة في العمليات العسكرية الموجهة ضد المجتمع السوري، بعد أن رسّخت ذاتها عبر الأدوات السابقة.

ونحاول في هذا الدراسة تسليط الضوء على المشروع الإيراني المتمدد باتجاه تونس، وإسناداته وأبعاده، وأدوات ترسيخه، باعتبار تونس بوابة إيران إلى شمال إفريقيا وغرب المتوسط.

هذه الدراسة، هي جهد سابق يعود لأعوام خلت. وبتكليف من «مركز الخليج للدراسات الإيرانية»، مشكوراً، وجدنا ضرورة مراجعتها وإعادة تحيينها، في إطار الاستمرار بملاحظة المشروع الإيراني ومراجعة مستويات تغلغله في البيئة العربية، وهو ما وجدناه على ذات الأسس التي كنا قد بنيناها في المراحل الأولى للدراسة. لذا أضفنا على الدراسة بندين جديدين هما:

- ما بعد الترسيخ الإيراني في تونس.
- القضية الفلسطينية: مدخل إيراني في تونس.

كما أرفقنا في هوامش هذه الدراسة، بعض المراجع الحديثة، التي لم تكن موجود في النسخة الأولى من الدراسة، نجد أنها تقع في ذات المسار والمنهج، ومتممة لما سبق وأن قدمناه، ونخص هنا دراستين صادرتين عن بوابة الحركات الإسلامية، وأخرى عن Independent عربية، سيتم ذكرهما في الهوامش.

أولًا: في طبيعة المشروع الإمبريالي الإيراني:

يشكل التاريخ المجتزأ مادة مهمة لبناء الفكر التوسعي الفارسي، على اختلاف أشكال الأنظمة السياسية التي توالت على فارس، إذ ادّعت كافة تلك الأشكال أحقية إيران (فارس) التاريخية في «استعادة» بناء امبراطوري كان لها أن تقيمه في مراحل من التاريخ القديم، وفق ادّعاءات هذا التاريخ. متصادمة بشكل مستمر مع البيئة العربية التي وجدت فيها منافساً وخصماً تاريخياً وعقيدياً رئيساً، بل وخصماً رخواً سياسياً قابلاً للتفتيت والاختراق، خاصة في العقود الأخيرة، التي توافقت مع قيام النظام الإسلاموي - القومي في إيران، لتبدأ حالة التمدد الفعلي من خلال أولى حروبها المعاصرة تجاه البيئة العربية (حرب الخليج الأولى(1))، بعد أن رسخت بناء كيانها الحديث (إيران)، بالتسلط والاستيلاء على الأقاليم المحيطة بالمركز الفارسي.

ووفق بؤر التمدد الفارسي التي جئنا على ذكرها في دراسـات سابقة، وهي بإيجاز:

- بؤر الارتكاز الاستراتيجية: وتشكِّل هذه البؤر عماد المشروع الإمبريالي الفارسي، وقاعدة التأصيل له عربياً، ومنطلق العمليات التوسعية اللاحقة، وتشمل كلاً من العراق ولبنان وسورية. وقد استطاعت إيران فرض هيمنة عسكرية مباشرة عليها، وتحديد أطر العلاقات السياسية داخلها وفق إملاءات الحرس الثوري.

- بؤر تمدّد استراتيجي: وتشكِّل هذه البؤر أهمية كبرى، لناحية استقرار المشروع الإمبريالي، وحمايته، عبر تغليفه للبؤر الأولى بمناطق عزل ثقافي - مذهبي، تتحوَّل لاحقاً إلى عازل سياسي - عسكري تجاه المحيط الخارجي، يمنع تسرب مقاومة عربية إلى داخل الكيان الإمبريالي، وتشمل اليمن ومصر والسودان، وهي ما تزال في طور المحاولة، حيث تتفاوت قدرات إيران في هذه الدول، من محاولات ولوج أخفقت في مصر، إلى إخفاق تام في السودان بعد طرد مقومات مشروعها منه، إلى اختراق ميليشياوي في اليمن قاد إلى الانقلاب الحوثي على الدولة.

- بؤر التوسع الفائض: وتشكِّل مناطق هذه المجموعة فائضاً استراتيجياً في المشروع الفارسي، تستكمل به الهيمنة على العالم العربي ككل، جاعلة منها خط دفاع أول، وربما قابلٍ للمساومة في مواجهة المشاريع المنافسة له. وتشمل دول المغرب العربي، حيث تعتبر تونس بوابتها، بالإضافة بالطبع إلى المغرب وموريتانيا، وتشكل هذه البؤر داعماً إسنادياً لوجستياً للبؤر السابقة، عبر توظيف معطياتها في ترسيخ المشروع الإيراني (تشييع واستقطاب نخب).

- الهدف الاستراتيجي الأعلى: ويشمل دول الخليج العربي كافة، بحثاً عن السيطرة المباشرة على الحرمين الشريفين، وفق ادعاءات دينية - قومية، عبر إحاطة هذه الدول ببؤر ارتكاز وتمدّد وتوسع، واختراقها من داخلها عبر تغذية صراع الهويات المذهبية، وتعتبر البحرين البوابة الرئيسة لهذا الهدف، إضافة إلى محاولات اختراق عديدة للكويت وقطر وعمان والإمارات، وبأدوات مختلفة، دينية أو اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية.

فإننا نلحظ أن المشروع الفارسي، مشروع بعيد المدى، يستهدف كافة المحيط العربي، مستفيداً من كافة الاضطرابات الواقعة في هذه البيئات، دافعاً

إلى توظيفها بأقصى حدودها من خلال جملة آليات اختراق، لعل من أهمها:

- الربط بين إيران والبيئة المستهدفة عبر اتفاقيات التعاون (الاختراق الدبلوماسي).
- الإسناد التاريخي (الاختراق الثقافي).
- إنشاء جملة مشاريع استثمارية ذات أبعاد استخبارية (الاختراق الاقتصادي).
- إعادة بناء المجتمع مذهبياً، عبر تغيير هويات البنى الديموغرافية (الاختراق البشري الهويتي).
- الاستحصال القانوني على وضع مميز للأقلية المصطنعة (الاختراق القانوني).
- العمل على استحداث أزمات داخلية أو تغذية أزمات قائمة (الاختراق السياسي).
- إسناد النظام السياسي أو المجموعات البشرية التي تمت مذهبتها في مواجهة الطرف الأخر عبر أدوات القوة (الاختراق العسكري).

ثانيًا: الإسنادات التاريخية الإيرانية في تونس:

يقول السفير التونسي الأسبق في طهران في كتاب «العلاقات بين تونس وطهران عبر التاريخ»، (2): "قد يعلم التونسيون وقد لا يعلمون أنّ كثيراً من مؤسساتهم هي ذات أصل إيراني سواء في الإدارة أو العسكرية أو المعمار أو التجارة أو الفلاحة أو الصناعات التقليدية، فهي أيضاً من أصل إيراني. وأنّ كثيراً من العلماء التونسيين قد أقرّوا بإيران، وأن ابن خلدون هو من أكبر المؤرخين الذين درسوا في شيء من الاستعجاب تاريخ إيران وحضارة إيران وفلسفة التاريخ الإيراني.

فالمدرسة الإيرانية قد شاركت بقبتها البصلية الأصيلة، وبمنائرها المغشاة بالزليج البارع، وبأقواسها المهموزة التي تسمى في الأندلس قوس الجيب ... كذلك المنائر الملبسة بالقاشاني المزخرفة، وأهمها الجرالدا بإشبيلية وصومعة تستور بتونس.

فلا شك أنّ الحضارة العباسية المتأثرة بالإيرانية، والتي انبثقت عنها الحضارة الأغلبية بالقيروان، تجعل الحضارة الأغلبية متأثرة أيضاً بالحضارة الإيرانية. ولا شك أيضاً أنّ الحضارة الفاطمية التي هي أول حضارة فاطمية وقد نشأت بمدينة المهدية على الساحل التونسي، تجعل لنا صلات مع الحضارة الشيعية الإيرانية في مظاهر الحضارة العلمية والأدبية والفنية والصناعية، فعاشوراء التونسية فيها كثير من أصول عاشوراء الشيعية، ومسرحية التعزية كانت موجودة بتونس في العهد الفاطمي، واعتبار علي نور الله وجهه والسيدة فاطمة الزهراء - رضي الله عنها- لا يزال ولن يزال قائماً بتونس».

ويحوي الكتاب كثيراً من الخلط الفكري غير المتزن، لناحية ربط إيران المنشأة في القرن العشرين، هي ذاتها فارس التي كانت قائمة قبل عدة قرون، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى، يجعل الكاتب أسّ الحضارة في العالم العربي فارسياً (إيرانياً) سمح للعرب بولوجها والتعلم منها. فيما اندمج الفرس بالحضارة العربية التي وإن أخذت بعضاً من مكوناتها من بلاد فارس، فإنّها كانت حضارة جامعة منتجة منفتحة على العالم كله، دون أن يعني ذلك أنّ ما أنشأه العرب من امبراطوريات كان في المحصلة نتاجاً فارسياً، وخاصة أنّ المؤلف تغاضى عن الأدوار التهديمية التي قام بها الفرس في تحطيم الامبراطوريات العربية وتسهيل غزوها من قبل المغول، عدا عن دورهم في تحطيم أساساتها الفكرية والدينية بالاختلاقات المذهبية الواسعة.

لكن أن يروج سفير تونس لتاريخ مسموم ومزور بهذا الحجم، فهذا يدلّ على حجم الاختراق الإيراني للبنية السياسية التونسية، وعن استناد المشروع الفارسي إلى قيادات عليا في الدولة، تفتح لهم أبواب البلاد للتغلغل سريعاً فيها، دون عناء يذكر.

ثالثاً: الاختراقات الاقتصادية والدبلوماسية لتونس:

أدت أوضاع تونس الاقتصادية المتأزمة عقب الثورة، كنتيجة حتمية لعملية تطهير البلاد، وإعادة هيكلة نظمها السياسية والاقتصادية والتشريعية، إلى تسهيل المهمة الإيرانية في عملية اختراق البنى الاقتصادية التونسية، وإن كانت ما تزال في بداياتها، لكن مسارها يوحي بتقدمها وإصرارها على تشكيل حيز مهم في الفضاء الاستثماري التونسي.

إذ شملت الاتفاقيات الموقعة بين الجانبين، كثيراً من النشاطات الإيرانية في تونس، ومنها:

- التعاون البرلماني.

- حضور إيران حفل توقيع الدستور التونسي الجديد، وتجيير الجلسة لصالح خطاب «المظلومية» الإيراني، ما أحدث أزمة دبلوماسية داخل الحفل.

- اتفاقيات تعاون في قطاع الموانئ والملاحة التجارية، والخبرات الفنية الضرورية لها.

- تأسيس صندوق استثمار مشترك.

- تعاون مشترك في مجالات النشاط الزراعي ونقل الخبرات الإيرانية إلى تونس.

- استيراد السيارات والمحركات الإيرانية إلى تونس.

- فتح خط تمويل ائتماني إيراني في تونس بقيمة 100 مليون يورو، يهدف إلى تشجيع المستثمرين الإيرانيين لتوطين مشاريعهم في تونس.

- الاستثمار الإيراني في تونس في مجالات الفوسفات والنفط وصناعة مكونات السيارات.

- السعي إلى رفع حجم التبادل التجاري بين البلدين إلى مليار دولار، بميزان

تجاري يميل إلى صالح إيران بالمطلق، ويستنزف القدرات المالية التونسية.

- يضاف إلى ذلك، تعاون بيني في مجالات الكهرباء والصحة والتربية والتعليم والثقافة والمرأة والأسرة والإعلام والسياحة.

رابعًا: التوظيف الإيراني للمعطيات المجتمعية في تونس:

كما أسلفنا، فإن تونس تعاني من عدة أزمات في البناء الدولتي التونسي على المستوى الكلي، مورثة عن نظام زين العابدين بن علي، أو مستحدثة نتيجة الانتقال الثوري بالدولة والمجتمع إلى مرحلة يعاد فيها تأسيس البنى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والهويتية، ما يشكل نوافذ اختراق عديدة يتيحها هكذا وضع، وتسمح للقوى الخارجية بالقيام بأدوار تدخلية.

ولعل من أبرز الأزمات الناشئة والمتعلقة بموضوع البحث، هو الاضطراب الهويتي المستحدث عقب الثورة، إذ طالما عزل نظام زين العابدين بن علي تونس عن محيطها العربي، دافعاً إلى ربطها ثقافياً بأوروبا عامة وفرنسا خاصة، ويظهر ذلك على المستوى الشعبي لناحية توسع استخدام اللغة الفرنسية على حساب العربية، ما أحدث تناقضاً هويتياً بين أصل المجتمع وتحديثه، لم يبرز إلا بعد الانفتاح الثوري على البيئة العربية وإعادة اكتشاف الذات.

دفعت الثورة التونسيين إلى محاولة تعويض ما فاتهم في المجال العربي، بتبني القضايا العربية الرئيسة، والمتعلقة بالموضوع الفلسطيني، وحيث أنّ الثورات العربية ما كانت قد أنجزت ذاتها بعد حتى تنجز خطاباً عربياً/قومياً جامعاً، فإنّ الفكر الذي تلقفه ثوريو تونس كان الفكر القومي الذي خلفته الأنظمة المتساقطة وخاصة نظام البعث الأسدي، بما فيه من إشكاليات تتناقض مع روح الثورة التونسية، لكنه الوحيد المتاح، في ظلّ حداثة العمل القومي التونسي، وعدم امتلاك خطاب بديل.

يتقاطع خطاب البعث الغوغائي مع الخطاب الأيديولوجي الإيراني، عن المقاومة ومحور الممانعة، متسلِّطاً على القضايا العربية ومجيراً إياها لصالح المشروع الفارسي الإمبريالي، وخاصة أنّه قام بالترويج لذاته باعتباره البديل عن المشروع الإسرائيلي الإمبريالي الآخر، في ظلّ غياب مشاريع عربية كلية.

هذا التبني للخطاب الإيراني، دفع النخب الثورية إلى الميل إلى إسناد نظام الأسد ومن خلفه إيران في مواجهة المجتمعات العربية، وبناء هوية تونسية عربية قابلة للاختراق ثقافياً من قبل إيران، في مواجهة خطاب أيديولوجي آخر - الإخوان المسلمون - وجد فيه التونسيون مشروعاً مضاداً للثورة الحديثة، فيما كان يشكل في حقيقة الأمر وجهًا آخر للسلطوية الدينية الإيرانية، بل وأداة إيرانية كذلك.

فاختيارهم لخطاب المقاومة الإيراني، وتفضيله على ما هو متاح من خطاب الإخوان المتمّم له، كان نتيجة أخرى لحالة الاندفاع الإخواني في عدد من دول الربيع العربي إلى الهيمنة على السلطة السياسية بعيداً عن منطق المشاركة، قبل أن تتمّ عقلنتها نسبياً في تونس، ما أوقع تلك النخب في تبني خطاب استبدادي لحظة إنشاء نظام حريات واسع، في حالة تناقض ثقافي كبرى. وهو ما سهّل المهمة الإيرانية في اختراق الثقافة الشعبية، سواء من خلال الإسناد التاريخي، أو عبر حملات إعادة تشكيل المجتمع هويّتياً من خلال توسيع حملات التبشير الشيعي، أو طرح المسألة الأقلوية في تونس. بمعنى آخر، فإن الحراك السياسي الإخواني في تونس أدى إلى تسريع الاختراق الإيراني للبنى الفكرية لدى النخب التونسية الموالية للنهضة والمناهضة لها على السواء. وقد أسهمت وسائل الإعلام المدارة من قبل الحرس الثوري في ترويج الخطاب الإيراني داخل تونس، وخاصة من خلال قناة الميادين التي يديرها التونسي - اللبناني فيصل بن جدو.

وقد ساعدت الثقافة الشعبية المتأثرة بالصوفية من جهة، وبالعبث التاريخي من جهة أخرى، على إيجاد بيئة قابلة لاستقبال نسخ مسيسة من الفكر الديني - القومي (الشيعي - الفارسي)، عبر الاشتغال على الموروثات الدينية التي غدت مسلّمات في الثقافة الشعبية، والتي تتقاطع مع الثقافة الفارسية، عبر تجييرها لصالح مشروع سياسي، ومنها طقوس عاشوراء وحب آل البيت.

وفيما عملت إيران ضمن المجال المشرقي على تغذية النزعات الأقلوية، خاصة لدى الشيعة والعلوية والأكراد في مواجهة الدولة العربية، عبر دعمها تحت غطاء ديني - قانوني، في وقت تعاني القوميات داخلها من اضطهاد كبير في الحقوق(3)؛ فإنّ تونس لا تشهد ذات البنيان الديموغرافي، أو التنوع العرقي - الديني فيها، ما يجعل إمكانية إحداث شروخ مجتمعية شبه معدومة مقابل تلك التي اشتغلت عليها إيران في المشرق العربي. فاتجهت نحو منحيين في ذلك: خلق أقليات في المجتمع التونسي (التشييع)، وتبني قضية الأقلية الأمازيغية.

حيث أحدثت بعض الدراسات الإيرانية، مغالطات تاريخية أخرى، بنسب الأمازيغ إلى العرق الفارسي في الأصل، وتعمل على نشر المذهب الشيعي في أوساطهم، وأدلجتهم بأنهم فئة مضطهدة مجتمعياً عرقياً ودينياً، وهو ما اشتغلت عليه في العراق وسورية ولبنان والبحرين واليمن، في سعي منها إلى تحويلهم إلى أداة تدخلية مستقبلاً، كما حصل في تلك الدول.

وحيث إنّ نسبة الأمازيغ في تونس تقل عن 1% من مجموع السكان، بما لا يكفي لإحداث شروخ مجتمعية، فإنّ إيران عمدت إلى خلق هوية تصادمية يمكن لها أن تحقق ذلك، من خلال إعادة بناء هوية المجتمع التونسي عبر توسيع حملات التبشير الشيعي، عبر منحيين:

- تشييع بؤر جغرافية أشبه بالكانتونات، تكون متطرفة عن المركز، تشكل فيما بعد شريطاً جغرافياً - ديموغرافياً متكاملاً.

- تشييع بؤر منفصلة داخل الدولة، تتميز بنخبويتها السياسية والثقافية، تعمل على اجتذاب الأطراف.

خامسًا: حملات التبشير الإيرانية في تونس:

تعود محاولات تشييع المجتمع التونسي إلى مرحلة الثمانينيات، مع انطلاق مشروع خميني في نشر الثورة الإيرانية في المحيط العربي، عبر شخصيات تونسية من أبرزها التيجاني السماوي وعماد الدين الحمروني، اللذين تلقيا دعماً كبيراً من خميني. وتنتشر الحركة الشيعية خاصة في جنوب تونس في مدن قابس وقبلي، ومن أبرز جمعيات التشييع التونسية «المودة الثقافة الشيعية»، ولا يمكن تحديد عدد المتشيعين بدقة، إلا أنهم ما زالوا في طور المئات أو الآلاف فقط.

ووفق دراسة صدرت في كتاب بعنوان: «حلم الشيعة: مملكة فاطمية في الشمال الأفريقي»، لمؤلفه محمد مختار، فإنّ إيران اكتشف قدرات على استخدام ديانة الشيعة في قلب أنظمة الحكم بالدول العربية التي كانت تئنّ تحت سيطرة ديكتاتوريات عربية في هذا الوقت لإحياء الدولة الفاطمية ضمن مخطط لتأسيس شريط فاطمي يعتنق الديانة الشيعية في المنطقة الممتدة من غزة في فلسطين وحتى المغرب. وأشارت الدراسة إلى أنّ إيران استغلت التربة المواتية للتشيع في تونس بالنظر إلى أنّ تونس كانت مهداً للدولة الفاطمية تاريخياً، وأسست مراكز للتشيع في مناطق مختلفة من تونس خاصة جنوب البلاد في فترة الثمانينات مع ظهور حركة ما يسمى: «المسلمون السائرون على خطى الإمام». حيث شهد

جنوب تونس حركة تشييع واسعة، عبر التخفي خلف المذهب الشافعي خلال حقبة الثمانينات للتسرب وسط قطاعات من طلاب الجامعات في تونس بالرغم من المعارضة الرسمية والشعبية لظهور الديانة الشيعية في تونس. خاصة مع قيام إيران بدعم الجمعيات والمؤسسات التي تخفّت خلف الأعمال الخيرية والأنشطة الثقافية لنشر دين الشيعة بين التونسيين. ورصدت الدراسة قيام إيران بالعمل على تكريس إدخال تركيبة مذهبية جديدة في تونس وليبيا المجاورة لاستغلالها فيما بعد كذريعة للتدخل في الشئون الداخلية لتونس ولأية دولة عربية أخرى بحجة حماية الأقلية الشيعية (4).

ووفقاً للمحامي التونسي أحمد بن حسانة «قمنا في نيسان/إبريل 2012 بالإعلان عن تأسيس الرابطة التونسية لمناهضة المدّ الشيعي، تزامناً مع زيارة وزير الخارجية الإيراني إلى تونس وافتتاح أسبوع السينما الإيرانية. أردنا من خلال هذا التزامن أن نحدث رمزية باعتبار أنّ رابطتنا توجه أصابع الاتهام لإيران بنشر التشيع الجعفري في البلدان العربية السنية، وتونس منها، عبر مخطط يقوم على رصد الأموال وتجنيد الأشخاص ... إيران لن تتوانى عن تسليح هذه الخلايا النائمة متى دعا الأمر إلى ذلك لخلق الفتنة في إطار ما يسمى بتصدير الثورة الإيرانية»(5).

ويرى بن حسانة أنه لا يعوز الركيزة القانونية التي يستند إليها لمعارضة ومناهضة تسرب المذهب الشيعي إلى تونس ويقول «بقدر إيماننا وتمسكنا بحرية المعتقد واحترامنا لكل الأديان وإيماننا بقيم التسامح وحق الاختلاف، فإننا نعتبر من الخطر بمكان أن تعمل أطراف تونسية وبإيعاز من جهات خارجية على نشر المذهب الشيعي بيننا؛ نظراً لما يمثله ذلك من تهديد لأمن بلادنا

واستقرارها، ومن شأنه أن يزرع فتنة طائفية بين ساكنيها كان شعبنا طيلة تاريخه بمنأى عنها، وسيؤول الأمر في النهاية إلى إغراق البلاد في دوامة من العنف والاحتقان»(6).

وقد صنّفت عدة تقارير إعلامية ومقالات نشرت عبر صحف ومواقع إلكترونية، تونس، بأنها من البلدان التي تشهد «حركة تشييع» سريعة وواضحة المعالم. إلا أنّ تلك التقارير والتحذيرات لم تجد لها آذاناً صاغية لدى كلّ من الإعلام الرسمي والخطاب الحكومي اللذان يؤكدان باستمرار أنّ الدولة لا تتدخّل في معتقدات وأديان المواطنين التونسيين المعروفين بتسامحهم واعتدالهم. إلا أنّ ذلك الصمت أو التجاهل لو صحّ التعبير يخفي صراعاً يدار في الخفاء بين المذهبين السنّي والشيعي ويمكن ملاحظته بجلاء عبر الشبكة العنكبوتية وخصوصاً عبر شبكة «الفيسبوك»، حيث توجّه الاتهامات باستمرار إلى دور «مشبوه» للسفارة الإيرانية في تونس على حدّ تعبير عدد من المشاركين في تلك النقاشات «المذهبية»، التي تدور رحاها بين سنة وشيعة لا يربط بينهم غير الجنسية التونسية المُشتركة، وما دون ذلك يبدو الاختلاف عميقاً وحاداً في أحيان عدّة(7).

سادسًا: إخوان تونس وإيران:

وجدت إيران في الفكر الإخواني تقاطعاً كبيراً مع مصالحها الإمبريالية في العالم العربي، تستند إلى آليات توظيف الدين في خدمة المصالح السياسية، ما أدى إلى رعاية إيرانية لاحقة لتكتلات الإخوان المسلمين في كثير من الدول العربية، أولئك الذين وجدوا في ثورتها الخمينية منهاج عمل يسهم في تسريع وصولهم إلى السلطة، ونجد أن نشاطهم الحثيث عقب الثورات العربية –وإن لم

يكلل بنجاح يذكر - إلا أنّه اتجه إلى مسار تأطير الثورات الشعبية بأطر إسلاموية تمنحهم السيطرة على المسارات السياسية الجديدة. كما أنّ الفكر الخميني ذاته كان قد انبنى على كثير من الأسس الفكرية لجماعة الإخوان المسلمين، والتي عادت وبنت عليه.

من ذلك ما قد أشار إليه رئيس حركة النهضة الإسلامية - فرع الإخوان في تونس - راشد الغنوشي إلى أن تطوّر المسار الفكري للحركة تاريخياً تأثر بالثورة الاسلامية في إيران والقيم التي بشرت بها وخاصة مبادئ «الانتصار للمستضعفين ومواجهة الظلم والاستكبار». وقد أبدى في كثير من كتاباته إعجاباً بالتجربة الإيرانية معتبراً إياها حركة التجديد الأكبر في التاريخ الإسلامي، بل وعمل على إعادة إنتاج الفكر الإخواني بناء على معطيات الثورة الخمينية. ويذهب الغنوشي إلى أبعد من ذلك، باعتبار إيران النموذج «الديمقراطي» الأنسب، فيما تعاني إيران من أزمات سياسية هويتية تنذر بامتداد الربيع العربي إليها في السنوات المقبلة.

وكان الغنوشي قد أكد في أحد كتبه أنّ «هناك دلائل كثيرة على تطور الثورة الإسلامية الإيرانية وانتصارها المشرق في التاريخ الحديث للحركة الإسلامية»، مشيراً إلى العلاقة الوثيقة التي كانت تربط بين حسن البنا وآية الله الكاشاني، الزعيم السابق للحركة الإسلامية الإيرانية، في الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين، حيث وضعا برنامجاً للتعاون والتنسيق لقيام الدولة الإسلامية وتأييدها من الجميع في أيّ مكان تقوم فيه. ويعتبر الغنوشي أن حركة «فدائيان الإسلام» بقيادة نواب صفوي في إيران كانت امتداداً لفكر الإخوان المسلمين (وهذا ما يفسر التعاون الوثيــق بين إيران وحركة النهضة في تونس) (8).

وحيث تواجهه حركة النهضة مناهضة شعبية داخل تونس، عمدت إلى الالتقاء مع تيارات سياسية أخرى، وبخاصة القومية، من خلال التقاطع المشترك في دعم حزب الله اللبناني ومشروع إيران في المشرق العربي «المقاومة والممانعة»، عبر تبني الطرفين ذات الأطروحة الإيرانية، وتأييد حزب الله ومن خلفه إيران ونظام الأسد. وهو ما أعطى الحركة مجالاً للمناورة داخل النخب التونسية اليسارية والقومية، فيما عمل حزب الله على إسناد حركة النهضة وخاصة من خلال حضوره لمؤتمرها عام 2012 في تونس، ليتم توظيف ذلك، من خلال الترويج النشط لمشروع التشييع في تونس.

هذا العلاقة العضوية بين حركة النهضة –الإخوان المسلمون - وإيران، أدت في المحصلة إلى تعزيز مواقف الطرفين سياسياً، وأسهمت في دعم الحركة وتحصينها داخلياً، مقابل توسيع الامتداد الإيراني إلى تونس، وترسيخ البنى الفكرية والمجتمعية له.

ما بعد الترسيخ الإيراني في تونس:

يمكن وصف المرحلة الأولى من النشاط الإيراني في تونس، بمرحلة ترسيخ الحضور الإيراني، وهو أمر تشتغل عليه إيران في البيئات المستهدفة، وفق عملية طويلة المدى، تراكمية، ذات وتيرة منخفضة لا يمكن ملاحظتها في المراحل الأولى. أي أن العقلية الفارسية عقلية تمتاز باشتغالها الاستراتيجي طويل المدى، وليست معنية بالحصول على مكاسب آنية غير مضمونة الاستمرار. وهو النهج الذي شهدنا تأسيسه في العراق وسورية ولبنان، قبل إحكام السيطرة على مفاصل تلك الدول، وهو ما نشاهده في حالات دراسية عديدة، ليس اليمن وحيداً فيها، بل سبقتها السودان ودول إفريقية متعددة –جنوب الصحراء - ودول في آسيا وأمريكا اللاتينية.

لذا، فإن عملية الاشتغال الإيراني في تونس، وإن كانت مهمة شاقة لغياب كثير من مقوماتها، كتلك التي في المشرق العربي، إلا أن مؤشراتها تظهر بين الفينة والأخرى، للمتابعين للشأن الإيراني. ولسنا بصدد استعراضها، بقدر ما نحن مهتمون بتصنيفها، لتبيان النمط العام للعقل الفارسي المشتغل بالشأن العربي، والتونسي ضمناً. وهنا يمكن أن نسجل التنميط التالي، وهو الحرص الإيراني على الاشتغال وفق ثلاثة مستويات متوازية، تسير معاً:

- الأول: علني رسمي واضح، لا يشوبه تشكيك، يندرج ضمن إطار العلاقات الدبلوماسية الودية مع الدول المستهدفة. وقد لاحظنا ذلك في أسميناه مرحلة التأسيس للحضور. وإن كان هذا الاشتغال لا يخلو من أدوات يتم من خلالها محاولة الإيقاع بالجانب الرسمي (الحكومي المستهدف)، كما سنرى لاحقاً.

- أما الآخر، فهو اشتغال غير رسمي، أو شبه رسمي، حيث تحرص إيران على الحضور في المناسبات الشعبية والثقافية، والتواصل مع نخب وشخصيات حكومية، ولكن خارج الأطر الرسمية، وهو تأسيس موازٍ لسابقه.

- أما الاشتغال الثالث، فهو اشتغال غير معلن، ولا يمكن ملاحظته، أو التدليل عليه بصورة واضحة، إلا عبر أدلة غير مكتملة، يبقى التشكيك فيها أمراً سهلاً، وهو اشتغال منوط به بناء الحواضن الشيعية من جهة، وربما العسكرية من جهة ثانية، عبر أذرع متعددة، أهمها حزب الله، المنوط به الاشتغال على هذا التأسيس عربياً.

ووفقاً لهذه المسارات الثلاث، يمكن أن نضع السلوكيات الإيرانية المتفرقة فيها، حتى نتدارك الصورة الأعم –طويلة المدى التي يشتغل عليها الإيراني، في تونس خصوصاً، وفي كافة البيئات المستهدفة عموماً. ومن ذلك مثلاً:

- الإشادة بتونس، وبقيادتها، وحضور كافة المناسبات الرسمية والشعبية، وتكريم شخصيات تونسية حكومية أو شعبية، وتصدير ذلك عبر الإعلام الإيراني، الناطق بالعربية خصوصاً، لإظهار مدى التقارب الرسمي والشعبي، وصولاً إلى محاولة تصوير تونس كحليف أو صديق مقرب من إيران.

- ويظهر هنا خطاب الحرص على تونس، وأحياناً يكون أشبه بالخطاب الاستعلائي الوصائي الغربي، من خلال توجيه الحكومة التونسية لما «يجب أن تفعله»، وهذا يظهر على سبيل المثال، في تعليق المتحدث باسم الخارجية الإيرانية على أحداث صيف عام 2021 في تونس.

- في ذات السياق، سنلحظ محاولة اقتطاع تونس عن بيئتها العربية، من خلال زرع أسافين تفريق هويتي وسياسي، وإن اضطر الأمر، لتصوير تونس على أنها تميل إلى جانب إيران في قضايا الشرق الأوسط، أو أنها تتبنى وجهة النظر الإيرانية المعادية للعرب. وهنا نستذكر التصريحات الإعلامية التي ظهرت على وسائل إعلامية إيرانية ناطقة بالعربية، حول موقف الرئيس السابق: باجي قائد السبسي، من إيران، واعتبارها حامية العرب من إسرائيل، في نيسان/إبريل 2017، والتي نفتها تونس وبشكل رسمي.

القضية الفلسطينية مدخل إيراني في تونس:

وفق ما تقدم، يمكن لنا أن نبرز ثلاثة تيارات سياسية رئيسة في تونس، بعد الحدث الثوري، وهي:

- تيار الإسلام السياسي، المتمثل بشكل رئيس في حركة النهضة، والتي كانت في مقدمة القوى التي اشتغلت مع إيران، وكانت قريبة منها على المستوى الفكري - السياسي، وعلى المستوى التنظيمي، بل ويمكن القول إنها كانت مدخلاً رئيساً لإيران في البيئة التونسية.

- تيار تقليدي، هو امتداد ثقافي للبيئة الثقافية ما قبل الثورية، تمثلت في مرحلة ما بشخص الرئيس السابق: السبسي، ومجموعة العمل التي كانت معه. وحاول هذا التيار الحفاظ على حد أدنى من العلاقات مع إيران، لكن وفق الشكل السابق، بمعنى عدم الانجرار إلى علاقات مضادة للمصالح العربية، أو مناهضة للعمل العربي المشترك.

- أما التيار الثالث، فهو تيار هجين من قوى يسارية، وقومية، وقومية جدية ما بعد ثورية، تحاول أن تنشأ خطابها على خطابات سياسية موروثة من فترات ماضية، تقوم على مركزية القضية الفلسطينية وحدها، باعتبارها أنها هي القضية العربية، دون الالتفات إلى بنية الإشكاليات العربية كافة.

- في وقت لم تستطع القوى الشبابية ما بعد الثورية، بلورة تيار مستقل عن التيارات السابقة.

بالعودة إلى التيار الثالث، شكّل اندفاعه غير المتوازن نحو تبني خطاب «القضية الفلسطينية»، كما مرّ سابقاً، مدخلاً بالغ الأهمية لإيران، وهنا نقصد بالخطاب غير المتوازن، أننا نؤكد من جهة على أهمية القضية الفلسطينية كقضية إنسانية أولاً، وعربية وإسلامية وهويتية، لكن مع التأكيد في ذات الوقت، على ضرورة الانتباه إلى التوظيف السياسي الذي يجري باسم «المقاومة والممانعة»، والذي تم من خلاله تدمير عدة دول عربية طيلة العقد الماضي، وحتى تاريخه، وهو المحور الذي تشرف عليه إيران بشكل مباشر، بل وتقوده إما مباشرة عبر فيلق القدس وأذرعته، أو عبر ميليشياتها الطائفية الممتدة في العالم العربي، أو عبر قوى محلية يتم الالتقاء معها من خلال أدلجة القضية الفلسطينية.

سيظهر ذلك في بعض سلوكيات الرئيس التالي: قيس سعيد، حيث شكلت

هذه الخلفية الثقافية لديه، نقطة تقارب مهمة مع إيران، أو مع حلفائها في العالم العربي، رغم انتقالاته السياسية غير المتوازنة من جهة إلى أخرى، إلا أن ذلك لم يمنعه من الحفاظ على مسافة قريبة مما يسمى بـ «محور المقاومة والممانعة»، وما يترتب على ذلك من انحيازات سياسية مضادة للتوجهات العربية.

ختاماً، ما يزال المشروع الإمبريالي الإيراني قيد التوسع تجاه بيئات عربية جديدة، يسنده في ذلك أسس فكرية مشوّهة يشتغل على ترويجها، ضمن قائمة أدوات واسعة في قوته المرنة، قبل أن ينتقل إلى مرحلة توظيف قوته الصلبة في ترسيخ هيمنته، وهي مرحلة لاحقة لمدّ النفوذ، تتواءم مع معطيات أزموية دفعت إليها إيران عبر استغلال الإشكاليات الداخلية.

دون أن يعني ذلك حتمية البناء الإمبريالي الفارسي، وسقوط العالم العربي بأسره في قبضة النظام الملالي، فكل تمدّد جديد للاستراتيجية الإيرانية، يبقى بمثابة عبء غير قادرة على إدارته كما فعلت في المشرق العربي، إذ تبقى قدراتها السياسية والعسكرية والمالية واللوجستية محدودة أمام اتساع الفضاء العربي، رغم ما تدفع به من أدلجة لهذه المجتمعات.

كما أنّ أوضاع الداخل الإيراني الاقتصادية والقومية تشكل بدورها عامل ضغط انفجاري في طور التبلور، ينذر باندلاع أزمات هويتية تصادمية مع المركز الفارسي داخل إيران، كنتيجة حتمية لاستبدادية النظام السياسي وفرض الهوية الشمولية على الأقليات الأخرى، في عملية تفاعل إقليمي بين إيران ومحيطها المتفجر أساساً، إذ أنّ ارتداد العسكرة التي أقامتها في العراق وسورية خاصة، ستطال بدورها العمق الإيراني، وهو ما يقوض البناء الإمبريالي المتسع، ويقضي على أدواته لاحقاً، وخصوصاً مع انهيارات اقتصادية ومعاشية لم يعد بالإمكان

إصلاحها، أو على الأقل تحتاج إلى سنوات وربما عقود حتى تخرج إيران من مستوى الأزمة المتفجرة بالغة الخطورة، وهو أمر يشكل عائقاً كبيراً أمام مشاريعها الخارجية.

وإلى أن يتم ذلك، فإنّ كثيراً من البيئات العربية معرضة لكافة أشكال الاختراق الإيراني، وخاصة الاختراق الهويتي، في ظل اضطراب إشكالي في الهوية العربية، غذّته الثورات العربية، التي ما تزال تفتقد إلى خطاب بنائي للهوية العربية بعيداً عن التداخلات الإقليمية (وخاصة الدينية منها)، وبعيداً عن الخطاب المستهلك للأنظمة الديكتاتورية المتساقطة، حيث ما تزال هوية المجتمعات العربية أسيرة للأدلجة الخارجية أو للنمط الفكري الذي ثارت عليه.

المصادر

1 - للمزيد حول هذه الحرب، انظر: عبد القادر نعناع، «ضرورات الحرب الإيرانية - العراقية ودورها في المشروع الفارسي»، 12/8/2014، مركز المزماة للدراسات والبحوث: http://www.almezmaah.com/ar/news - view - 6399.html

2 - للاطلاع على المزيد، انظر: عثمان العكاك، «العلاقات بين تونس وإيران عبر التاريخ»، موقع إيران والعرب: http://iranarab.com/Default.asp?Page =ViewArticle&ArticleID=581

3 - للاطلاع على قضايا حقوق القوميات في إيران، انظر: عبد القادر نعناع، «صراع الهويات في إيران: بين الهوية الكلية والهويات الفرعية»، 23/10/2013، مركز المزماة للدراسات والبحوث

http://almezmaah.com/ar/news - view - 3058.html

4 - «دراسة: إيران دعمت نشر الديانة الشيعية في تونس للتدخل في شؤونها الداخلية»، موقع النبأ الإخباري الدعوي، 31 يوليو/تموز 2012: http://www. ennaba.com

5 - لمياء المقدم، «التشيع في تونس وعلاقته بإيران»، 12 يونيو/حزيران 2012، ميدل ايست أونلاين:

http://www.middle - east - online.com/?id=133028

6 - المرجع السابق.

7 - «شيعة تونس ورقة تستغلها إيران»، موقع البينة:

http://www.albainah.net/index.aspx?function=Item&id=30438&lang

8 - «إيران هامش الإخوان المسلمين للمناورة بعيداً عن أعين الأمريكان والإنجليز»، صحيفة العرب اللندنية، العدد 9065، 30 يونيو/حزيران 2014، ص 13.

الدراسة الثاني
«الإخوان» وإدخال التشيع إلى تونس..
راشد الغنّوشي نموذجًا

د. خميس بن علي الماجري

مدخل تاريخي

زحف الداعية الشهير عبيد الله الشّيعي على رقّادة «القيروان» من المغرب الأقصى[1] مقترفًا أشرس حرب تطهير ديني ضدّ أهل السُّنة وقهر سكّان البلاد وأجبرهم على التّشيّع، ولم يطمئنّ عبيد الله الشّيعي إلى ولاء أهل القيروان له، فانطلق إلى المهديّة ليجعلها مدينة له، ولينطلق منها إلى الاستيلاء على مصر ويستقر بها عاصمة له سنة 973. ودام حكم «الفاطميّين» في تونس 64 عامًا.

ولم تلبث تونس أن تمرّدت على واليه وعادت إلى مذهب مالك السّني ليزول التّشيّع من تونس نهائيًا. كما أُطيح بالتّشيّع ودولته أيضًا في مصر على يد صلاح الدّين الأيّوبي.

وطهرت المنطقة من الشّيعة وخلُصت لأهل السّنّة أزيد من ألف عام خالية من الفرق إلاّ قلّة من الإباضيّين تعايشوا مع أهل السّنّة في أمان، وظلّ الأمر على ذلك النّحو حتّى انطلاق ما يُسمّى الثّورة الإيرانيّة عام 1979 حيث تسرّب التّشيّع الدّيني عبر مناصرة التّشيّع السّياسي لإيران وما يُسمّى «بطولات حزب الله».

فمن وراء بسط التشييع في تونس في تلك المرحلة التي لم يكن فيها شيعي تونسي فيما نعلم قبل سنة 1979؟

ومن أبـرزُ الأشخاص الذين غَلَوْا وتراموا في تبييض الخميني الشيعي وإيران الصفوية؟

هذه الدراسة تكشف بالأدلة والتوثيق العلمي من وراء ذلك التشييع في تونس.

لقد تماهى الغنّوشي في الشّيعة مُبكّرًا منذ (1968 / 1969) حيث انتظم منذ شبابه خلال إقامته بباريس بعضويّة فاعلة في جمعيّة طلاّبيّة يُشرف عليها شيعي

(1) الخميس 20 ربيع الثاني سنة 296 هـ/ 6 جانفي 909 م.

إيراني، وكان الغنّوشي يُعين الإيراني في ترجمة خطب الخميني من الفرنسيّة إلى العربيّة، والغريب أنّ الغنّوشي يعترف ـ في فخر واعتزاز ـ أنّه هو ومن معه من السّنّة اختاروا هذا الإيراني رئيسًا لهم فيكتب: «وإنّ ممّا يلفت النّظر أنّ ذلك الطّالب الإيراني الذي اخترناه لرئاسة جمعيّة الطّلبة المسلمين بفرنسا كان الإيرانيّ الوحيد، وكان شديد التّديّن على المذهب الجعفري، وما اعترض أحد على تشيّعه أو أثار هذا الموضوع جدلاً أو شكّل عائقاً أو مصدر حرج لاختياره لموقع الرّئاسة في جمعيّة كلّ أعضائها سنّيّون شدّهم إليه تديّنه وكفاءته «[1].

اعتنق راشد الغنّوشي كثيرًا من العقائد الفاسدة للخميني وأتباعه، وانخدع بزخرف شعاراته وتبناها وتماهى فيها فنقل عنهم نفس بدعهم الخبيثة بتصرّف، وتجلّى ذلك في أمور منها:

1- طعنه في الأنبياء عليهم السلام، مُتّهما إيّاهم بالفشل في الجمع بين الإصلاح العقائدي والسّياسي حسب ادّعائه، فكتب: «وهو تعبير صارخ عن فشل مهمّة الجمع بين الإصلاح العقائدي و السّياسي معا»[2]. وهذه الطّامّة نقلها الغنّوشي عن الخميني القائل:» لقد جاء الأنبياء جميعًا من أجل إرساء قواعد العدالة في العالم، لكنّهم لم ينجحوا، حتّى النّبيّ محمّد خاتم الأنبياء الذي جاء لإصلاح البشريّة، وتنفيذ العدالة، وتربية البشر لم ينجح في ذلك. وإنّ الشّخص الذي سينجح في ذلك، ويرسي قواعد العدالة في جميع أنحاء العالم، في جميع مراتب إنسانيّة الإنسان وتقويم الانحرافات؛ هو المهدي المنتظر... فالإمام المهدي الذي أبقاه الله سبحانه وتعالى ذخرا من أجل البشريّة، سيعمل على نشر

(1) راشد الغنوشي، من تجربة الحركة الإسلاميّة في تونس، ص 37.

(2) راشد الغنّوشي، الحركة الإسلاميّة ومسألة التّغيير، ص 25.

العدالة في جميع أنحاء العالم، وسينجح فيما أخفق في تحقيقه الأنبياء». [1].

لقد جارى الغنّوشي الخميني وأخذ عنه تطاوله على الأنبياء وتجرّءه على الرّسل دون أن يدري أبعاد النّوايا الباطنيّة للخميني« الباطني» التي تستهدف تكسير« قداسة» الأنبياء والرّسل ـ عليهم السّلام ـ وصنع قداسة كهنوتيّة حول شخصه، لأنّ الخميني – بثورته – بلغ مستوى الرّسالات السّماويّة، وقاد أعظم ثورة لم يقم بها الأنبياء، ليقينه أنّه نائب المهدي له ما للمهدي من منزلة وقداسة، ألم يكتب الخُميني: «وإنّ من ضروريّات مذهبنا أنّ لأئمّتنا مقامًا محمودًا لا يبلغه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل» [2].

2 – طعن الغنّوشي وتشكيكه في خلافة أبي بكر الصّدّيق فكتب: « قوّل أدعياء التّسنّن على نبيّهم، فأوّلوا إنابته لأبي بكر في الصّلاة على أنّه استخلاف» [3]، وقوله هذا يُوافق قول الخميني الذي كتب:« إنّ أبا بكر وعمر وعثمان لم يكونوا خلفاء رسول الله بل أكثر من ذلك، إنّهم غيَّروا أحكام الله، وأحلُّوا حرام الله، وظلموا أولاد الرّسول، وجهَّلوا قوانين الرَّبّ وأحكام الدّين»[4]، وقد أخذ الاستاذ راشد أيضًا هذا الطّعن من محمّد باقر الصّدر الذي يُقرّر أنّ الصّحابة ـ وحاشاهم ـ حرّفوا الخلافة إثر وفاة الرّسول مباشرة فقال:» هذا الانحراف وقع بعد وفاة النّبيّ (ص) وتمثّل في أنّ جماعة من صحابة الرّسول (ص) لم يرتضوا علياً المنصوص عليه من قبل النّبيّ (ص)، للخلافة فتصدّى بعضهم لها) [5]، وقال زيادة في التّفصيل:» الانحراف بدأ في أيّام ابن أبي قحافة وعمر، وكان انحرافاً مستوراً،

(1) من خطبة الخميني بمناسبة ذكرى مولد الإمام المهدي في (15/8/1400هـ).

(2) الخميني، كتاب الحكومة الإسلاميّة، ص 52.

(3) راشد الغنّوشي، الحرّيّات العامّة في الدّولة الإسلاميّة، ص 162.

(4) موسوي الخميني، كشف الأسرار، ص 110.

(5) محمد باقر الصدر، أهل البيت تنوع أدوار و وحدة هدف، ص 134.

وكان عمر موفّقاً جدّاً في أن يُلبس هذا الانحراف الثّوب الدّيني المناسب) [1]، ثمّ ادّعى أنّ بيعة السّقيفة لأبي بكر شوّهت الإسلام ومسخته فكتب:« لأنّ الأمّة كُتب عليها أن تعيش الحكم الإسلامي المنحرف منذ نجحت السّقيفة في أهدافها. إذن فالإسلام الذي تعطيه السّقيفة امتدادها التّاريخي هذا الإسلام إسلام مُشوّه ممسوخ، إسلام لا يحفظ الصّلة العاطفيّة فضلاً عن الفكريّة بين الأمّة ككلّ وبين الرّسالة، بين أشرف رسالات السّماء وأشرف أمم الأرض» [2].

3 - ومن طعن الغنّوشي في الصّحابة قوله في عمر بن الخطّاب: «لو كان على كرسي الحكم اليوم عمر بن الخطّاب لصار مستبدّاً»[3]. والحال أنّ عمر كان يتمتّع بصلوحيّات مطلقة بصفته أميرا للمؤمنين بمعنى أنّه غير مُلزم بشورى المسلمين، ورغم ذلك حكم وعدل وانتصر وأعزّ الإسلام والمسلمين وَأَمنَ.

4 - أمّا الصّحابي الجليل وكاتب الوحي وصهر الرّسول معاوية بن أبي سفيان الملك المجاهد فقد أثخن فيه الخميني القائل:« فلو خرج سلطان على أمير المؤمنين عليه السّلام لا بعنوان التدين بل للمعارضة في الملك أو غرض آخر كعائشة وزبير وطلحة ومعاوية وأشباههم أو نصب أحد عداوة له أو لأحد من الائمة عليهم السلام لا بعنوان التدين بل لعداوة قريش أو بني هاشم أو العرب أو لأجل كونه قاتل ولده أو أبيه أو غير ذلك لا يوجب ظاهرا شيء منها نجاسة ظاهرية. وإن كانوا أخبث من الكلاب والخنازير لعدم دليل من إجماع أو أخبار عليه»[4].

---

(1) المصدر السابق، ص 101.

(2) المصدر السابق، ص 13.

(3) https://www.youtube.com/watch?v=hBwZ0Iw4s6c

12 موسوي الخميني، كتاب الطهارة، الجزء 3 ص 337.

(4) راشد الغنوشي، الحرّيّات العامّة في الدّولة الإسلاميّة، ص 164.

وسار راشد الخرّيجي سير إمامه الخميني فكتب: «الوالي المنشقّ معاوية بن أبي سفيان، وقد غلبت عليه – غفر الله له – شهـوة الملك وعصبيّة القبيلة، فلم يكتف بأن انتزع الأمر من أهله بل ومضى في الغيّ!! لا يلوي على شيءٍ حتّى صمّم على توريثه كما يوّرث المتاع لابنه وعشيرته، فجمع في قصّته المشهورة ثلّة من المرشّحين للخلافة من الجيل الثّاني من الصّحابة، وأمام ملأ من النّاس قام أحد أعوانه يخطب بصفاقة... وحيـنئذ بدأ مسلسل الشّرّ والفساد، مكرّساً الدّكتاتوريّة والوصاية والعصمة، مُقصياً الأمّة عن حقّها، مبدّداً طاقتها في جدلٍ عقيم حول الخلافة والاستخلاف»[1]. ومن الأقوال التي وافق فيها الغنّوشي الرّافضة أيضا ما جاء على لسانه في خطبة جمعة له يوم 12 / 07 / 2013 في مركز حزبه بمونبليزير بتونس العاصمة أنّ معاوية تمرّد على الإمام عليّ وسنّ لعن عليّ على المنابر حتّى أبطله عمر بن عبد العزيز، وهذا افتراء من افتراءات شيعة لم يقم دينهم إلاّ على الافتراء والكذب، لفّقوها على معاوية ضمن خرافاتهم التّاريخيّة دون إسناد! ومن المُقرّر أنّ الطّعن في أحد الصّحابة هو طعن فيهم جميعا، ومعاوية ستر من هتكه فقد هتك بيت الصّحابة جميعهم رضي الله عنهم.

فتأمّل كيف يحطّم راشد الخرّيجي رموز الأمّة السّابقين من الجيل الرّبّاني الفريد وانظر تطابقه في التّطاول على عدالة أبي بكر وعمر أبي بكرة و عمرو بن العاص وخالُه معاوية بن أبي سفيان، والرّسول صلى الله عليه وسلم حذّره من ذلك، فقال له:« لا تسبّوا أصحابي فلو أنّ أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه» وحذّره أيضا: «لا تسبّوا أصحاب محمّد صلّى الله عليه وسلّم فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره» وتوعده: «من قال في مؤمن

(1) https://www.youtube.com/watch?v=UudAj_frjEs

ما ليس فيه, أسكنه الله ردغة الخبال حتّى يخرج مما قال».

5 - ومن طعون الخميني الخبيثة طعنه لعلماء أهل السّنّة وقُضاتهم، فقد أورد في كتابه «الحكومة الإسلاميّة»[1] ما نُسِب كذبًا إلى جعفر الصّادق: أنّه يرى التّحاكُم إلى قُضاة المسلمين السُّنَّة وحكّامهم تحاكمًا إلى الطّاغوت، ثمّ يقول: «الإمام – عليه السّلام – نفسه ينهى عن الرّجوع إلى السّلاطين وقضاتهم، ويعتبر الرّجوع إليهم رجوعًا إلى الطّاغوت «، ويسبُّ الخميني أحد قضاة الخلافة الرّاشدة وهو القاضي شريح ويقول عنه:«وكان شريح هذا قد شغل منصب القضاء قرابة خمسين عامًا، وكان متملِّقًا لمعاوية، يمدحه ويثني عليه، ويقول فيه ما ليس له بأهل، وكان موقفه هذا هدمًا لما بنته حكومة أمير المؤمنين»[2]. وقد وافقه الغنّوشي في ذلك الهراء، فانطلق يُحطّم علماء أهل السّنّة في مناسبات عديدة، فكتب: «قاموا بصفقة تاريخيّة لهم الشّريعة والحكّام لهم السّلطة»[3]. ويكتب مرّة أخرى: «والوفاق التّاريخي بين العلماء والحكّام»[4]. واتّهمهم أخرى أنّهم مجرّد موظّفين من طرف الحكّام وجعلوهم أدوات للاستبداد، فقال:«... مُتّخذة من الدّين ومؤسّساته وعلمائه مجرّد أدوات تستخدم عند الحاجة...وكانت محنة الإسلام وعلمائه عظيمة مع هذه الدّولة فاختار بعضهم المعاضدة للحكّام جريا على عادة علماء الإسلام»[5]. وقال متجنّيا على العالم السّنّي والعربي:«للتّخلّص

(1) موسوي الخميني، الحكومة الإسلامية، ص 74. وللمزيد، انظر كتاب، وجاء دور المجوس، عبد الله محمد الغريب، ص148

(2) راشد الغنوشي، الحركة الإسلاميّة والتّغيير، ص 31.

(3) المصدر السابق، ص 30.

(4) المصدر السابق، ص31.

(5) المصدر السابق، ص31.

من العقليّة الفرديّة الّتي سادت العالم السّنّي والعربي منه خاصّة»[1].

وتأمّل جيّدا كلّ تلك المقولات فستبيّن لك أمران، أوّلهما أنّ الغنّوشي ردّد أقوال الخميني والشّيعة في الطّعن في الأنبياء والصّحابة، وثانيهما أنّه يتحدّث عن الصّحابة وأهل السّنّة من منظور عدائي. وهذا يتناقض مع دعوته إلى ما يُسمّى «توافق»، أفليس التّطاول على رموز الأمّة من الأنبياء والصّحابة وعلماء أهل السّنّة يثير التّفرقة والفتن؟ وهكذا تَفهم أنّ التّوافق المقصود عنده يتعلّق بمسائل السّياسة فحسب، أمّا الدّين والعقيدة عنده فأمور ليست من أولويّاته، بل كما صرّح هو بنفسه أنّها من عوائق العمل السّياسي المشترك مع خصومه العقائديّين، ولذلك لم يستفزّه مسلسل طعن صحابة رسول الله في تونس والأمر يتواصل ويستمرّ ويتضخّم كلّ يوم عبر إعلام المجاري وهو صامت لا يتحرّك، غير أنّه تدخّل تحت ضغوط من منظومة الاستبداد لإيقاف برنامج مهمّ يكشف عن منظومة الفساد والفاسدين في البلاد يُبثّ عبر قناة الزّيتونة «التّابعة له، وتدخّل الغنّوشي وتوقّف البرنامج.

هذا هو الغنّوشي مع أصحاب النبيّ، أمّا رؤوس الكفر العالمي فيمدحهم ويُثني على «ديمقراطيّة» بوش وعلى «جمال» حكم شارون، ويحترم ماركس ولينين وكاسترو وبوتن فيقول: «وليس ماركس ولا لينين وكاسترو - مع الاحترام لهم»[2]. وقال في بوتن: «ألم يصنع الرّئيس الرّوسي بوتن سابقة إذ طلب العضويّة الشّرفيّة في منظمّة المؤتمر الإسلامي. وذلك ضمن قراءة نافذة للمستقبل وفي

(1) مقالات «حركة الاتجاه الإسلامي في تونس»، ص 97، كتاب جمع فيه كل افتتاحياته في مجلة المعرفة.

(2) راشد الغنّوشي، مقال بعنوان، "نحن مع العمل المشترك"، موقع «تونس ـ نيوز» الإلكتروني . حُجب الموقع من طرف حزب النّهضة بعد 14 جانفي / يناير 2011 تاريخ هروب زين العابدين بن علي من تونس.

تواضع بعيدًا عن طموح مغرور»[1].

هذا هو الغنّوشي الذي يقدح في أصحاب النبيّ أمّا أصدقاؤه فهم: «صديقنا المرحوم العلاّمة مهدي شمس الدّين .. صديقنا الشّيخ محمّد علي التّسخيري»[2] أمّا الخميني فهو إمام ومجدّد وروح الله وقائد وأب روحي له ويترضّى عنه في مجالسه، والحبيب بورقيبة أيضًا فقد ترّحم عليه ثمّ رآه في الجنّة بل رفعه إلى منزل «الرّفيق الأعلى»[3]. ومعلوم أنّ الرّفيق الأعلى هو رتبة في الجنّة لا يبلغها إلّا من أنعم الله عليهم من النّبيين والصّدّيقين والشّهداء وحسن أولئك رفيقا! فهل بورقيبة من الذين أنعم الله عليهم؟ ثمّ من أعلم الغنّوشي أنّ بورقيبة في الرّفيق الأعلى؟ فهل «أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا»[4]؟

فالمقصود أن راشد الغنوشي افتتن افتتانا شديدا بالخميني ونسخ أقواله الخبيثة ودواهيه الخطرة وجعلها من بنات أفكاره. هذا فضلا عن إعجابه بثورته وتأييده لها عبر مجلّة المعرفة وكتبه وحواراته ومؤتمرات إيران التي ترعاها تحت عنوان مؤتمرات التّقريب بين الشّيعة والسّنّة والوحدة الإسلاميّة.

الحضور القوي والمستمر للخميني وثورته في مجلّة (المعرفة) [5] وقف

(1) راشد الغنّوشي، مقال بعنوان، " الغرب والدّيمقراطيّة والإسلام"، موقع «تونس ـ نيوز» الإلكتروني.

(2) راشد الغنوشي، العلاقة بين الشيعة العرب وإيران، موقع قناة الجزيرة، 26 يونيو 2009. https:// www.aljazeera.net/opinions/2009/6/24/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%A9-%D8%A8%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%8A%D8%B9%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8-%D9%88%D8%A5%D9%8A%D8%B1%D8%A7%D9%86-2

(3) برنامج تلفزيوني، قناة الحوار التونسية بعنوان «لمن يجرؤ فقط»، بُثّ يوم 19/01/2014 .

(4) سورة مريم، الآية 78.

(5) لسان الحركة الإسلاميّة في تونس منذ عام 1972، تولّى الإدارة والمسئولية أمام السلطة الشّيخ عبد القادر سلامة، وتولّى رئاسة التّحرير راشد الغنّوشي.

الغنوشي إلى جانب ثورة إيران يباركها ويدعو المسلمين إلى مناصرتها، وتحسين مذهبها مُهونا من البعد الشيعي والطائفي. أمّا المدير المسئول الشّيخ «السّلفي «عبد القادر سَلامة فلم يكن مُوافقا للغنّوشي في تنطّعه وحماسته لذلك التأييد، وكان يكتب مقالات تناقض ما يكتبه الغنّوشي إلاّ أنّ الأخير كان يقمع سلامة ولا ينشر له مقالاته» السّلفيّة» في مجلّة هو مديرها والمسئول عنها أمام السّلطة. ففي العدد الثّالث من السّنّة الخامسة من تلك المجلّة بتاريخ 12 / 02 / 1979 فقد صدر بغلاف فيه صورة الخميني يمدّ يديه وهو يدعو، وقد غطّت تلك الصّورة كامل الغلاف وتحته صورة أخرى فيها نساء إيرانيات والعنوان الكبير الوحيد بالأحمر (وانتصر الاسلام) ! وتحته مقوله للخميني «عرّفوا النّاس بحقيقة الاسلام كي لا يظنّ جيل الشّباب أنّ أهل العلوم في زوايا النّجف يرون فصل الدّين عن السّياسة وأنّهم لا يمارسون سوى دراسة الحيض والنّفاس ولا شأن لهم بالسّياسة«. ثمّ كتب من تحت» الإمام «الخميني. و في نفس العدد وتحت عنوان:» الثّورة الإيرانيّة ثورة إسلاميّة «كتب الغنّوشي:» إنّ ثورة إيران هي ثورة الإسلام ضدّ الاستبداد والقهر والتّبعيّة» وكتب أيضا: «ولذلك فسوف تكون نموذجا يَهتدي به كلّ الأحرار في العالمين الإسلامي والنّامي وتصبح إيران قلعة للحرّيّة ومركز الإشعاع الرّسالي في العالم».

أمّا العدد التاسع لنفس السّنة الخامسة فقد أبرزت المجلّة عنوان: «المعرفة تُرشّح الخميني»، وكتب الغنّوشي في الصّفحة 9 مع صورة الخميني يقترح على المملكة العربيّة السّعودية التي أنشأت (جائزة الملك فيصل العالميّة) أن تسند تلك الجائزة لسنة 1400 هجري إلى الخميني فكتب: «وأسرة المعرفة لا ترى أكفأ وأحقّ بالجائزة الأولى لخدمة الاسلام من الإمام آية الله الخميني

بل إنّه لو أُسندت إليه يشرّفها ويرفع من شأنها فهو العالم المتبحّر في الفقه والأصول والفلسفة وعلم الفلك، وهو زعيم الشّعب الايراني المسلم وقائد ثورته العظيمة الذي طرح الاسلام الكامل الشّامل طرحا عمليّا عالميّا دوّخ العالم بقطبيه الشّيوعي والرأسمالي وحرّر شعبه المسلم من الظّلم والاستنزاف الاستعماري وهو سائر به بكلّ قوّة وثبات نحو إرساء دعائم الدّولة الاسلاميّة بإيران، وشاحذا عزائم الأمّة الإسلاميّة وباعثا فيها الأمل نحو العزّة والسّيادة«. أمّا الجائزة فتُقدّر بمائتي ألف ريال سعودي وميداليّة ذهبيّة وشهادة تقديريّة. وفي العدد الثامن من مجلة المعرفة كتب الغنوشي مقالاً بعنوان» الرسول ينتخب إيران للقيادة «جاء فيه:» إن إيران اليوم بقيادة آية الله الخميني القائد العظيم والمسلم المقدام هي المنتدبة لحمل راية الإسلام» معتبرا أنّ الرّسول عناه في حديث «إنّ الله يبعث لهذه الأمّة على رأس كل مائة سنة من يجدّد لها دينها». وقال: «إنّه بنجاح الثّورة في إيران يبدأ الإسلام دورة حضاريّة جديدة»[1]. وكتب أيضًا، «الذي يبدو واضحاً أنّ دولة شيعيّة قويّة ستولد في إيران وستكون طرفاً أساسياً في تحديد مصير المنطقة فلا مناص من مدّ الجسور الإسلاميّة المشتركة للتّعاون معها»[2]. كما يُقرّر الغنّوشي في مقالاته أنّ الاتّجاه الإسلامي الحديث «تبلور وأخذ شكلاً واضحاً على يد الإمام البنّا والمودودي وقطب والخميني ممثّلي أهمّ الاتّجاهات الإسلاميّة في الحركة الإسلاميّة المعاصرة»، وأضاف في تعبيرة كنسيّة خطيرة تُبيّن عن نَفَسٍ غروري استعلائي أنّ البنّا والمودودي والخميني هم المُمثّلون الشّرعيّون والوحيدون للإسلام فقال: «ولكنّ الذي عنينا من بين ذلك الاتّجاه الذي

(1) راشد الغنوشي، الحركة الإسلامية والتحديث، ص 17.

(2) راشد الغنوشي، مقالات حركة الاتجاه الإسلامي في تونس، ص 97 . كتاب جمع فيه كل افتتاحياته في مجلة المعرفة ـ اللّسان النّاطق لحركة الإتّجاه الإسلامي ـ سابقًا ـ حزب النّهضة ـ حاليًا ـ

ينطلق من مفهوم الإسلام الشّامل، وهذا المفهوم ينطبق على ثلاثة اتّجاهات كبرى: الإخوان المسلمين، الجماعة الإسلاميّة بباكستان وحركة الإمام الخميني في إيران»[1]، وهو يقصد بإمامة الخميني للمسلمين قاطبة بدون منازع. كما وصفه أيضًا بـ «الإمام» في ذلك النّصّ وفي كلّ كتاباته تقريبا، ففي الصّفحة الرّابعة من كتابه «الحرّيّات العامّة في الدّولة الإسلاميّة» يُهدي الغنّوشي كتابه ذاك «إلى قائد الثّورة الإسلاميّة المعاصرة الإمام الخميني، كما أهداه أيضا إلى» الشّهيد» العلاّمة الصّدر و «الشّهيد«علي شريعتي، هكذا هم شهداء عنده، كما وصفه في مجلة المعرفة ـ أعلاه ـ بـ»روح الله «و»العالم المتبحّر في الفقه والأصول والفلسفة وعلم الفلك و المُجدّد.

لقد ضيّع الغنّوشي من عمره الخمسين سنة وهو يلهث مؤيّدا إيران وأذنابها في لبنان والعراق في مؤتمرات التّقريب بين الشّيعة والسّنّة والوحدة الإسلامية دون فائدة تذكر إلاّ أن بسط الأرض ومهّدها لإيران أن تخترق تونس التي صحّرها بورقيبة فصارت مستباحة غير مُحصّنة بعقيدة تواجه البدع ورموزها وأنظمتها.

من أبرز تدليسات الغنّوشي وأخطرها التي أُشْربها من الشيعة:

1 - جعل مسائل العقيدة من الخلافات الجزئيّة، بل هي كما كتب: «العقيدة في العمل السّياسي صخرة تتحطّم عليها آمال الشّعب التّونسيّ في الحرّيّة والانعتاق»[2]. والمصيبة أنه لا ينظر أن إيران وأذنابها الشيعة هم خطر عقائدي وعنصري، والمدهش أنه لا يزال يعتبر إيران نموذجا إسلاميا متفوقا بالرغم من أن ايران أقصت الإخوان في العراق وساهمت في وأدهم في الشام كما ساهمت في إسقاط حكم الإخوان في مصر واليمن فضلا عن طالبان في أفغانستان.

(1) حسن التّرابي، وراشد الغنّوشي، الحركة الإسلاميّة والتّحديث، ص 16/17.

(2) راشد الغنوشي، من تجربة الحركة الإسلاميّة في تونس، ص 60.

2 - ليس من منهج الغنّوشي أن يُصارع الشّيوعيّين والملحدين، ولكنّه خُلق لمخاصمتهم على السّلطة فحسب، فإذا كان منهجه مع المُلحدين فكيف يخاصم الفرس الرّافضة وهم عنده أحسن من فهم الإسلام؟

3 - يقرر الغنّوشي أنّ الخلاف بين السّنّة والشّيعة ما هو إلا خلاف وهمي، ذكر ذلك في مقال له فكتب «الصّراع بين السّنّة والشّيعة من المشكلات الوهميّة التي تظهر مع سيادة التّقليد ويُستعاض بها عن المشاكل الحقيقيّة الواقعيّة بعد أن تختفي الفكر ويختفي الإبداع»[1].

4 - كما اعتبر الأستاذ أكثر من مرة أن الاستمرار في استحضار الخلاف التاريخي والنفخ فيه جزء من مؤامرة لخدمة أعداء الأمة تضرب الإسلام بالإسلام

5 - كتب سنة 2009: «إن اتخاذ إيران عدوا هو قرار غير مسئول وغير حكيم» أما عملية تشييع إيران الواسعة الممنهجة في المنطقة فقد بررها بأنها تبشير لمذهب في جمهور مذهب آخر وشبه ذلك بإخراج مسلم من غرفة يقيم فيها داخل دار الاسلام إلى غرفة أخرى في الدار نفسها وأن ذلك فقط مضيعة للوقت والجهد.

6 - وفي الوقت الذي يضحك فيه الشّيعة على الإخوان المسلمين ويضعون الخطط الخمسينيّة والعشرينيّة لذبح الأمّة، وفي نفس الوقت لم يُسمح فيه للسّنّة ببناء مسجد في طهران، بل هدّمت مساجد السّنّة وفي الوقت الذي يذبح فيه الشيعة السنة في لبنان والعراق وسوريا واليمن يغرّد الغنّوشي: «نحن لسنا مع إثارة حملة ضد التشيع عموما، ولا ضد حزب الله، ويجب أن يحصر الخلاف في قضايا محدودة، ولا يجب أن يتوسع؛ لتصبح حربا مفتوحة بين السنة والشيعة

(1) مجلّة الطّليعة الإسلاميّة، العدد 26، مارس 1985. هى مجلّة شهريّة تصدر في لندن.

لا يستفيد منها غير المتربصين بالفريقين»[1].

7 - الخلاف بين السّنّة والشّيعة «لا يمثّل مشكلة»، صرّح بذلك في حلقة نقاش بعنوان» أزمة الشّرق الأوسط وشمال أفريقيا: الإسلام / الدّيمقراطيّة والتّطرّف» جرت في معهد الولايات المتّحدة للسّلام بواشنطن، وهو معهد مُموَّل من الكونجرس الأمريكي، فقال إنّ الخلاف بين السّنّة والشّيعة «لا يمثّل مشكلة»! صرّح الغنّوشي بذلك في وضع عصيب يعيشه السنّة اليمنيّون باستيلاء الحوثيّين على اليمن واستحلال أنفس وأعراض وأموال ومساجد السّنّة. فأغضب تصريح الغنّوشي أهل السّنّة في العالم، فتدخّل شيخه يوسف القرضاوي ودعاه أن يتراجع عن تلك التّصريحات حتّى تتوقّف الهجومات على جماعة الإخوان المسلمين واتّهامها بأنّها تنشر التّشيّع في الوطن العربي.

هكذا بكلّ بساطة الخلاف بين السّنّة والشّيعة «لا يمثّل مشكلة»، لا مشكلة عقائديّة ولا سياسيّة ! فمتى تكون عنده مشكلة والشّيعة يكفّرون الصّحابة و أمّهات المؤمنين و يطعنون في عرض النّبيّ وزوجاته، هذا فضلا عن كفريّات أخرى لا تُحصى كقولهم بتحريف القرآن الكريم و إضفاء صفات الألوهيّة على أيمّتهم الإثنى عشر وغيرها.

أليست أقوال الغنوشي الطّائشة تُمهّد الطّريق للرّافضة بالتّواجد في تونس بكلّ يسر وسلاسة للفقر الديني الذي عليه شباب الحركة الإسلامية؟

إن أقواله وكتاباته ومواقفه لا تدعو إلى نصرة إيران ك» ثورة» فحسب، بل هي دعوة إلى دين الشّيعة الباطل، وقد بينت لك تماهيه في أقوال الشيعة المخالفة لعقائد أهل السنة، فيكون الغنوشي ممن أنبتت التّشيع في تونس.

---

(1) http://www.turess.com/alfajrnews/9386

ولقد حكم الغنّوشي تونس بعد ما يُسمى ثورة، وفتح للشّيعة مساحات كبيرة للنشاط ونفّذ سياسة إيران الصّفويّة مما يؤكد أن الغنوشي ما هو إلا حليف لإيران علم ذلك أم جهل، تماما كما مهّد كل الإخوان في بلاد المسلمين ابتداء من فتحي يكن في لبنان. ولستُ بحاجة إلى جمع أقوال ومواقف كلّ قيادات الإخوان ومرشديهم ابتداء من حسن البنّا إلى خالد مشعل الذي زار قبر الخميني ووضع ـ على عادة اليهود والنّصارى والمجوس ـ إكليلاً من الزّهور على قبر الهالك الخميني ثمّ صرّح لوكالة الأنباء الإيرانيّة «مهر»: «إنّ حماس الابن الرّوحي للخميني»، أمّا أسامة حمدان فيقول: «إنّ حركته جزء من المشروع الإيراني ولن تتأثّر بما يدور في سوريا».

إنّ الإخوان المسلمين هم من يتزّعم كبر إثم عقيدة التّقريب بين السّنّة والشّيعة، ويتفاخرون بتلك العقيدة المنحرفة ويعتبرونها أصلا من أصولهم ومكسبا من مكاسبهم، وهم بذلك مهّدوا ولا يزالون لغرس نبتة الشّيعة الخبيثة، و أدمنوا على قرقرات أنّ «الشّيعة إخواننا وأنّ الخلاف بيننا و بينهم في الفرعيّات لا في الأصول وأنّ الخلاف بين السّنّي والشّيعيّ كالخلاف بين أتباع المذاهب الأربعة». ولو تتبعتَ أقوال كبار قادة الإخوان المسلمين لتقرّر عندك أنّ هناك علاقة وثيقة وقويّة بينهم وبين إيران، بل لتقرّر عندك أنّ الاخوان هم بوّابة التّشيّع والشّيعة في العالم الاسلامي، وعندما تصدر حقيقة مُدوّية من كمال الهلباوي وهو شخص في موقع متقدّم جدّا ومن أبرز روّاد التّقريب مع إيران فيقول: «الإخوان مع إيران قلبا وقالَبا». والمتأمّل في سرّ موالاة الإخوان للشّيعة فسيجده في سببين: أوّلهما سياسي ويتمثّل في رغبة الإخوان في حليف يدعمهم للوصول إلى الحكم، وثانيهما ذوقي، لأنّ إمامهم حسن البنّا هو صوفي حصافي

شاذلي والصّوفية هي من أقرب أهل البدع إلى الرّافضة، ولذلك قيل: الصّوفيّة جسر للتّشيّع. ولذلك حذر الدكتور يوسف القرضاوي من «اتخاذ الشيعة للتصوف قنطرة لنشر التشيع في مصر ضمن مخطط مدروس ومستمر»[1].

إنّ شهوة السّلطة قد غطّت عين الغنّوشي فما عاد يبصر إلاّ من خلالها فقصر عقله عن إدراك حقيقة أمر الشّيعة وأهدافهم التوسعية. ولذلك حرص الأستاذ بعد عودته إلى تونس على علاقات ودّ وصداقة مع الايرانيين وأذنابهم من العراقيين وغيرهم، فكان من أكثر الناس تبادلا للزيارات مع السفير الإيراني في تونس وكلما احتفل الغنوشي بأي مناسبة لحزبه إلا ويحرص على دعوة ممثلي إيران ليحتفلوا معه المرّات العديدة في مقرّ حزبه، دون أن يبالي أبدا بمآسي المسلمين في الشام أو العراق أو اليمن أو يكترث بتنبيهات أرسلها له إخوة سوريون. و لستُ أدري بأيّ صفة يُقابل الغنّوشي المسئولين السّياسيّين الشّيعة الذين يزورون تونس دون أن تكون له صفة سياسية رسميّة ؟ فما الذي يدعو الغنّوشي أن يستقبل وزير الخارجيّة العراقيّة في مقره وقد قتلت حكومة الأخير تونسيّين تحت حكم احتلال أمريكي إيراني؟ فهل استقبله ليُهنئ إيران على إبادة العراقيين والسوريين واليمنيين وتهجيرهم واغتصاب حرائرنا هناك؟ هل يستقبلهم ليمتدح إيران التي تُدير حربا قذرة وترتكب أفظع الجرائم وأبشع المذابح ضدّ السّنّة في المنطقة؟ أم يستقبلهم استجابة لاستغاثة الثّكالى واليتامى والقتلى والجرحى والمغتصبات والمسجونين؟ ثم يُرسل وفودا من حزبه إلى طهران ليشكروا الإيرانيين على هدم آخر مسجد للسنة واحتلال الأحواز؟ كما وافق حزبه على زيارة الإيرانيّين إلى تونس كسائحين ثمّ يُهرول إلى سفارة إيران

(1) صحفية المصري اليوم، (8/9/2008).

ضمن وفد له كلّ سنة لتهنئة إيران بذكرى ثورتها الشيعيّة، ويقول: «نتطلّع لمزيد من العلاقات«! ومن هنا تفهم غموض موقفه و موقف حركته من التصويت الأخير لوزراء الداخلية العرب يوم 2 مارس / آذار 2016 على تصنيف حزب الله اللبناني تنظيما إرهابيا. ولقد حاول الغنّوشي أن يكون فيه موقفه من المسألة متوازنا، ولكنّه لم يفلح إذ لم يستطع أن يوازن بين حزب الله في حرب تموز ضدّ إسرائيلي، وبين حزب الله الإرهابي في لبنان وخاصة في سوريا، وكأنّ حزب الله عنده قد انتصر على الكيان الصّهيوني والحال أنّ حسن نصر الله صرّح أنّه لم يكن يعلم أنّ اختطاف عَسْكَرِيَّيْن إسرائيليّين سيكون سببا في تلك الحرب التي دمّرت لبنان وجعلتها رُكاما، بمعنى أنّه لو علم أنّ الحرب ستقوم بينهما ما كان له أن يُقدم على اختطاف العَسْكَرِيَّيْن. إنّ» إسرائيل «هي التي انتصرت في تلك الحرب وليس حزب الله أبدا، فقد حمت» إسرائيل» نفسها وأمّنت حدودها بسياج دولي عبر قوّات «اليونيفيل»، لتقطع الطّريق أمام المقاومة الفلسطينيّة، ثمّ لم تنته تلك المعارك حتّى تعهّد حزب الله أن لا يبدأ بضرب أهداف إسرائيلية داخل فلسطين المحتلة أبدا.

علاقات الغنّوشي القوية بالشّيعة:

1 - في شبابه خلال إقامته بباريس (1968 / 1969) كان الغنّوشي يفتخر بعضويّة فاعلة في جمعيّة طلاّبيّة يُشرف عليها شيعيّ إيرانيّ وكان الغنّوشي يُعين الإيراني في ترجمة خطب الخميني من الفرنسيّة إلى العربيّة ، والغريب أنّ الغنّوشي يعترف أنّه هو ومن معه من السّنّة آختاروا هذا الإيراني رئيسا لهم ثمّ يفتخر كاتبا: «وإنّ ممّا يلفت النّظر أنّ ذلك الطّالب الإيراني الذي اخترناه لرئاسة جمعيّة الطّلبة المسلمين بفرنسا كان الإيرانيّ الوحيد، وكان شديد التّديّن على

المذهب الجعفري، وما اعترض أحد على تشيّعه أو أثار هذا الموضوع جدلاً أو شكّل عائقاً أو مصدر حرج لاختياره لموقع الرّئاسة في جمعيّة كلّ أعضائها سنّيّون شدّهم إليه تديّنه وكفاءته»[1].

2 - تعانق الغنوشي مع إيران في فتح أبواب تونس للتّشييع منذ سنة 1979 على الرّغم من تحذيرات بعض مشايخ تونس مثل عبد القادر سلامة من مخاطر الشّيعة، والتي تحقّقت الآن في بلدنا.

3 - تعزّز ذلك التّعانق وصار له رصيد كبير من العلاقات مع الشّيعة خاصّة بتواجده في لندن حيث مقرّ تواجدهم قبل خياناتهم بعد إسقاط صدّام حسين. كان كلّ الشّيعة العراقيّين المقيمين في لندن والذين حكموا العراق بعد غزوها سنة 2003 أصدقاء له، وتواصلت تلك العلاقات الحميمة بينه وبينهم رغم أنّهم دخلوا بدبّابة أمريكيّة واستهدفوا أهل السّنّة، حتّى أنّه لمّا ألقت ميليشيّات نوري المالكي على الشّاب التّونسيّ يسري الطّريقي ـ المُتّهم بتفجير مراقد شيعيّة اتّصل الغنوشي ـ وبآعتراف منه ـ بالطّاغية المالكي لإطلاق سراح الشّابّ، فوعده المالكي بإعادة دراسة ملفّ القضيّة، ولكنّه لم يفعل حيثُ وقع إعدام يسري الطّريقي في شهر نوفمبر2011.

المعضلات الغنّوشية هي نفسها معضلات أئمّة الشّيعة:

1 - فساد العقيدة: لأنّ الغنّوشي ليس من أهدافه نصرة الإسلام ـ ولو آدّعى ذلك ـ وإنّما هدفه الحقيقيّ هو السّلطة، ولذلك فقد صرّح بكلّ وقاحة أنّ مسائل العقيدة من الخلافات الجزئيّة وأن «العقيدة في العمل السّياسي صخرة تتحطّم عليها آمال الشّعب التّونسيّ في الحرّيّة والانعتاق»[2]، ولذلك يرى أنّ العلماني

(1) راشد الغنوشي، من تجربة الحركة الإسلامية في تونس، ص 37.

(2) راشد الغنوشي، عوائق حركة 18 أكتوبر 2005، موقع تونس نيوز، 20 / 04 / 2006.

هو أقرب إليه من السّلفي والتّحريري والتّبليغي لأنّ العلماني غير عقائديّ في حين أنّ الإسلاميّين يعطّلون مسيرة الإصلاح الدّيمقراطيّ بطرحهم مسائل العقيدة من مثل مسائل الولاء والبراء.

ليس من انشغالات الغنوشي أبدا ولا من أولويّاته مطلقا البحث عن مسائل العقيدة أو محاربة أعداء العقيدة، لأنّها لم يُخلق كما صرح لمقاومة الشيوعية كما صرح: «لقد تغيّرت نظرتنا إلى الأمور وصرنا نعي أنّ اللّه لم يخلقنا لنقاوم الشّيوعيّة»[1]، ويقول:«إنّ الصّراع في تونس ليس بين حداثة ورجعيّة ولا بين عقل ودين بقدر ما هو بين أقلّيّة متسلّطة مدعومة من الخارج وبين شعب يطمح إلى التّحرّر وامتلاك دولته ومصيره»[2]. وقال:«الصّراع في تونس ليس بين الإسلاميّين والعلمانيّين»[3]. وقال: «فإذا اختار مجتمعنا أن يكون يوما ملحدا أو شيوعيّا فماذا نملك نحن؟»[4].

والعقيدة عنده ليست هي جوهر الصّراع في تونس فيقول: «مطلوب مزيد من الحوار والتّلاقي والبحث عن المشترك والإعراض عن الخلافات الجزئيّة أو الّتي لا تمسّ جوهر مشكل البلاد اليوم ألا وهو الاستبداد والفساد فإليه وحده يجب أن تتّجه كلّ جهود التّغيير»[5].

إن العقيدة عند الغنّوشي تحطّم رغبته الوصول للسلطة، ولذلك لا تعجب من أقواله تلك، كما لا تعجب أن قَاتَلَ صديقُه في العراق الإخواني طارق الهاشمي

(1) راشد الغنوشي، من تجربة الحركة الإسلاميّة في تونس، ص 60.

(2) صحيفة الرّاية، العدد 314، السنة 9 ، 2 0/05 / 1419 هجريّة.

(3) برنامج الاتّجاه المعاكس، قناة الجزيرة، 22 /10/1999.

(4) مجلة المجتمع الكويتيّة،1981.

(5) رسالة العيد، موقع تونس نيوز، لم نعثر على العدد والتاريخ لأن الغنوشي حجب الموقع.

رئيس الحزب الإسلامي العراقي جنبا إلى جنب مع بريمر ثمّ مع الصّحوات ثمّ مع الحشد الشّيعي. كما لا تعجب أيضا إبقاءه على التّرخيص الذي مكّنه الطّاغية ابن علي للشّيعة في تونس، في حين يمنع التّرخيص لمشايخ السلفية، كما لا تستغرب صمته الرّهيب إذا طعن علمانيّو تونس في السّنّة وفي أبي بكر وعمر وعثمان، بل رأينا قيادات حزب النّهضة يُوادّونهم فيعودون مريضا يسخر من الإسلام ويُهدونه باقة ورود، كما فعل عبد الفتّاح مورو وسمير ديلو مع الشّاعر أولاد أحمد الذي هددهم بالقتل والسحل إن لم يسلموا السلطة للانقلابيين، أو يُهاتفونهم إذا مرضوا، وهو ما فعله الغنّوشي مع الرويبضة محمّد الطّالبي الذي أُنكر عصمة النّبي ونزول الوحي عليه، واتّهم الرّسول بشرب الخمر وقال ـ لعنه الله ـ عبر قناة تلفزية وعلى المباشر: إنّ عائشة ـ وحاشاها ـ «كحبة» كتبتُ الكاف بدل القاف، وطعن في الصّحابة وخاصّة الخلفاء الأربعة منهم واتّهمهم باغتصاب الخلافة ونهب أموال الدّولة، ووصف عمر بن الخطّاب بالدّكتاتور، كما اتّهم عثمان بأنّه أوّل من كفّر المسلمين وأباح الخمر وأحلّ البِغاء، وأنكر الصّلاة والسّنّة وفرضيّة الحجاب والصّلاة على رسول الله و مصطلح الشّريعة في القرآن، ونفى حرق الله الكفار بالنّار.

2 - الضّحالة الفكريّة التي جعلت الغنّوشي يتنقل بين الأشخاص: ولذلك قلبت«ثورة» الخميني كيانه وزلزلت قناعاته السلفية فقال: «لقد تغيّرت نظرتنا إلى الأمور وصرنا نعي أنّ اللّه لم يخلقنا لنقاوم الشّيوعيّة»[1]، ومن ثم لا تعجب أن تجده كل يوم مع رجل فيوم مع جمال عبد النّاصر ويوم آخر مع الألباني ويوم ثالث مع حسن البنّا ويوم رابع مع سيّد قطب ويوم خامس مع مالك بن نبيّ

(1) راشد الغنوشي، من تجربة الحركة الإسلاميّة في تونس، ص 60.

ويوم سادس مع المودودي وسابع مع حسن التّرابي ويوم سابع مع الخميني ثمّ مع عبّاسي مدني ثمّ مع صدّام حسين ثمّ أردوغان ثمّ ناصري كما صرح بذلك عندما زار القاهرة بعد حكم الإخوان في إحدى تلك المؤتمرات قال: «أنا أعتبر نفسي ناصريا»[1]. ثم حلّ ركبه الآن مع الباجي قايد السبسي وهكذا دواليك. إن تنقلاته هذه بين الرجال تكشف عن حقيقتين: أولاهما ضحالة وخفة فكر الرجل وشدة تعلقه بأي «زعيم» يوصله إلى السلطة، وإليك ما سطره هو بنفسه ما يكشف ذلك:» لقد جاءت الثورة الخمينية في وقت مهم جداً بالنسبة إلينا، إذ كنا بصدد التمرد على الفكر الإسلامي التقليدي الوافد من المشرق. فجاءت الثورة الإيرانية لتعطينا بعض المقولات الإسلامية التي مكنتنا من أسلمة بعض المفاهيم الاجتماعية اليسارية.. فلما جاءت الثورة الخمينية علمتنا درساً آخر من الكتاب العزيز لخّصته هذه الآية من سورة القصص «وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ»[2]، وجدنا فيها الحل وكأننا نقرأها لأول مرة.. شعرنا كما لو أن الفكر الإسلامي من قبل لم يقرأ هذه الآية، وكأنما هي كشف خميني. من هنا اشتد حماسنا للثورة الإيرانية وأصبحت وسائل إعلامنا تنشر صور الخميني، ودروسنا أصبح فيها نفس جديد«[3]. إن خطاب الغنوشي يكشف عن حقيقة مؤلمة وهي الرخاوة الفكرية التي كان عليها الغنوشي والكثير من قيادات الحركة الإسلامية وخاصة الطلبة الذين أقبلوا على كتب الشيعة من مثل مرتضى مطهري و الصدر وعلي شريعيتي، فنهلوا منها

(1) سياسة «عصابية» وعدمية تجر لبنان إلى الهاوية، منتدى العصر، 30 نوفمبر 2006.

(2) سورة القصص، الآيات 5/6.

(3) راشد الغنوشي، من تجربة الحركة الإسلامية في تونس، ص 61/62.

البدع الشيعية التي حرفتهم بعيدا عن أصول وثوابت أهل السنة والجماعة، ولذا وجدنا الغنوشي يُقرر في أكثر من موضع أن أدبيات ايران هي الملهمة لطلبة الاتجاه الاسلامي في الجامعة.

3 - الطّغيان السّياسي: يكاد يكون وحده الذي يقرّر في الحركة ابتداء أو انتهاء بمعنى أنّ الكلمة الأخيرة هي له، لأنه كبّل جماعته ببيعة شرعيّة تُحرّره من إلزاميّة الشّورى، ولذلك ليس له أيّ حرج ولا وخز ضمير في أن يُخالف المؤسّسات ويستخفّ بها.

4 - احتفاظه بمصادر ثروة الحركة وعدم تداولها في أهمّ مؤسّسات القرار لا مؤتمر ولا مجلس شورى تماما كما يفعل أئمّة الشّيعة في الاستيلاء على خمس ثروات الشّيعة حتّى صاروا من أبرز أثرياء العالم.

5 - الزّعامة والهالة والأبّهة والمرجعيّة الفكريّة والوحيدة التي حضي بها الغنوشي بين أتباعه، فهو يتمتع بصلاحيات مطلقة حيث بلغ رتبة «ولاية الفقيه»، باعتبار أن مُريديه ملزمون دينيا بقيادة الولي الفقيه صاحب السلطة العليا، وهي نفس عقيدة إيران.

ترنّح الغنّوشي في مواقفه من الشّيعة:

لا نُنكر أن الغنّوشي انتقد في مرات قليلة إيران وسياساتها في المنطقة، ولكن تغيّر موقفه في نقده الشّاذّ والنّاعم لا تُحدده العقيدة ومصلحة الأمة، بل هو يخضع لمصلحته الشّخصيّة وبوصلته الإخوانية السّياسيّة، وتجد هذا في مناسبات قليلة جدّا لا تُحسبُ أمام مواقفه الأصليّة المُساندة لإيران. ومن المواقف القليلة التي وقف فيها ضدّ الشّيعة لهذه الأسباب:

أولا: المصلحة السياسية: ويُثبتُ الغنوشي حقيقة أن حماسته المفرطة للثورة

الإيرانية لم تُرض إيران، التي لا ترضى بالتأييد فحسب بل هل تُطالب بالتبعية الكاملة للولي الفقيه، فكتب مُستغربا:» وما أن أسفر هذا التوجه الديمقراطي للحركة عن نفسه حتى انتقدنا الإيرانيون بعد أن كانوا قد استبشروا بتأييدنا العارم لهم، فشنت بعض دورياتهم مثل دورية «الحرس الثوري» علينا هجوماً إذ رأوا في هذه الأبعاد الديمقراطية «تأثرا بالقيم الغربية الزائفة»، فرددنا بأننا وإن كنا نعتبر الثورة الإيرانية ثورة عظيمة ونساندها ولكننا لا نعتبرها نموذجاً«[1].

ثانيا: ورغم الخدمات العظيمة التي قدمها الغنوشي لإيران فإنه ما إن غادر تونس إلى المنفى واستطاع ابن علي أن يقضي على حركة النهضة حتى أرجع النظام الإيراني علاقاته مع ابن علي وتغزل الإيرانيون باسم المخلوع أنه مسلم ينتمي إلى آل البيت أليس اسمه زين العابدين بن علي، وساهمت قناة المنار بشكل سافر في تبييض نظام ابن علي الفاسد. قال الغنوشي: «إنّ جهات شيعية استغلت محنة الحركة الإسلامية في تونس لنشر التشيع.»[2]. كما صرّح أيضا في بداية الثّورة أنّ: «المذهب الشّيعي في تونس فتنة»[3]. ولا يمكن أن نعلق على هذه الأقوال إلا بقولنا: لا يُعذر من علِم، وللمرء أن يتساءل على هذه التصريحات: لماذا تتغير موقف الغنّوشي؟ هل يدرك أنّ الشّيعة هم خطر حقيقيّ على الإسلام وعلى المسلمين وبأنّهم مشروع فتنة واحتلال؟ فإن كان يدرك ذلك فلماذا يُجاري إيران ويتعامل معها؟

ثالثا: عندما رفضت إيران استقبال الغنوشي سنة 2007 اهتز موقفه فرد على

(1) راشد الغنوشي، من تجربة الحركة الإسلامية في تونس، ص 64/65.

(2) الفجر نيوز، 18 – 09 – 2008.

(3) http://www.turess.com/alfajrnews/9386
48 جريدة 14 جانفي، 19 جويلية 2011.

إيران بشكل متوتر، فقال في «قدس برس»: هذا موقف انتهازي وغير مبدئي، ويعطي الأولوية لعلاقة مع نظام ديكتاتوري ... الرهان على نظام ديكتاتوري هو انتهازية، وموقف متحيز يقدم غطاء للمحاولات الإيرانية لنشر التشيع في تونس. وهو بهذا المعنى رشوة يقدمها النظام الإيراني للنظام التونسي مقابل نشر الفكر الإيراني»، وتحدث الغنوشي على أن هناك تقاربا غير طبيعي بين النظامين الإيراني والتونسي، كما أن هناك بعض الرموز المحسوبة على التيار الشيعي في تونس تقوم بزيارات منتظمة إلى طهران، إلى جانب ذلك هناك تأكيدات بأن النظام التونسي يسمح بدخول العديد من الكتب الشيعية إلى البلاد، لا سيما في إطار معارض الكتاب، بينما يحظر كل الكتابات التي تحسب على تيار الاعتدال الإسلامي مثل كتب يوسف القرضاوي أو محمد الغزالي أو غيرها»[1].

رابعا: مُساندته المُثيرة لشيخه يوسف القرضاوي في مقال كتبه أثناء أزمة عابرة بين الإخوان والشّيعة تحت عنوان«كلّنا يوسف القرضاوي»، تعصّب فيه لشيخه القرضاوي ما لم يغضب عُشُرَه لعائشة وعثمان فضلًا عن مُعاوية، فحاول أن يُفنِّد في مقاله الاتهامات التي وجهتها إحدى الوكالات الإيرانية لشيخه«إمام الوسطية» فقال:«لقد اشتد غضبي على مقالة سفيهة سافلة صدرت عن وكالة أنباء إيرانية تجرأت على شيخ الأمة ورأسها، رمته بأوصاف نذلة من صهيونية وماسونية رددتها بما يستحق صاحبها»[2]. إن غضب الغنوشي الشديد ودفاعه المستميت على القرضاوي يفضح ضحالة عقيدته وتعصبه الحزبي فلماذا يُفجر هذه الألغام ويُخرج مخزونه العدائي دفاعا عن القرضاوي ويصمتُ عن تهجمات الشيعة للصحابة فضلا عن صمته عن جرائم إيران في المنطقة.

(1) قدس برس، 10/01/2007.

(2) المصدر السابق

ماذا حقق الغنوشي للإسلام وللتونسيين بعد نصف قرن من حوار مع الشيعة؟ لا تجد إخوانيا بمثل راشد الغنوشي قد ساند إيران بحماسة منقطعة النظير تعلقا وتبشيرا بشعاراتها ورموزها تطورت بعد ذلك إلى علاقة طويلة وقناعات مشتركة بينه وبين الشيعة، وقد عمل عملا مستمرا وكتب كتابات متواصلة في تلميع إيران وسياساتها، ورغم كل ذلك، فإن إيران أبت إلا أن ترد علاقاتها مع الدكتاتور ابن علي سنة 1990 لتستغل فراغ الساحة التونسية من الحركة الإسلامية لتنشر عقيدة الرفض المرفوضة، ثم تمنع إيران الغنوشي و محمد سليم العوا ومنير شفيق من دخول إيران في شهر كانون الثاني (يناير) 2007.

وإن أنسى فلا أنسى تذلل الغنوشي وصغاره أمام حسن نصر الله في اتصال هاتفي في برنامج تلفزي على قناة الجزيرة يقدمه غسان بن جدو المتشيع، فما كان من نصر الله إلا أن احتقره ولم يكترث به!

أسباب تنامي التّشيّع في تونس

لا ننكر أن أسبابا أخرى ساهمت في نشر التشيع في تونس زيادة على جهود الغنوشي التي انطلقت منذ 1979 وفي زمن لم يكن في تونس شيعي واحد، خاصة وأن العلاقات السياسية بين تونس وإيران قُطعت منذ 1981 بسبب غلو ولاء الغنوشي للخميني وإيران، ولسبب العثور على تحويلات أموال من سفارة إيران بروما لقيادي من حزب النهضة في باريس.

وهذه أبرز الأسباب الأخرى التي أعانت على نشر التشيع في تونس:

1 - استغلت إيران طحن ابن علي للحركة الإسلامية وتصفية التدين في تونس لتحسن علاقاتها معه لتخترق الساحة السنية في البلاد. فوثقت علاقاتها بالنظام التونسي على كل المستويات من تعاون سياسي وثقافي خاصة، ففسح المجال أمام الدعوة الشيعية، ورخص لهم ولأول مرة في تاريخ تونس الحديث بتأسيس أول جمعية شيعية في شهر أكتوبر 2003 وهي «جمعية أهل البيت الثقافية» وقد طرحت على نفسها «المساهمة في إحياء مدرسة آل البيت ونشر ثقافتهم»، كما أذن الدكتاتور ابن علي بتوزيع الكتاب الشيعي هذا فضلا عن الاتصال المفتوح والمكثف بين رموز التشيع وإيران، كما وافق الدكتاتور على التحاق طلبة تونسيين بجامعات ومراكز شيعية في إيران. فالحاصل أن التشيع وجد في تونس في عهد المخلوع مجالا للنشاط دون أية مضايقة أو اعتراض بل وجد تشجيعا ودفعا له.

2 - ما قامت وتقوم به البعثات الثّقافيّة الإيرانيّة من خلال سفارتها في تونس من اختراقات لوحدة البناء السّنّي وإرساء فتنة التّفريق بين المُكوّن المذهبي وذلك عبر نشر لمطبوعات تُشكّك وتنال من عقائد السّنّة وتُؤسّس لعقائدها الفاسدة. مثل الطّعن في الصّحابة ....

3 - الدور الكبير الذي لعبه جماعة» الإسلاميون التقدميون» ومن أبرزهم إحميدة النيفر وصلاح الدين الجورشي في نشر كتب مرتضى مطهري وعلي شريعتي وباقر الصدر في مجلتهم 15 / 21 ومكتبتهم المُسماة «الجديد«.

4 - مزايدة الغنوشي على» الإسلاميين التقدميين «الذين بدؤوا منذ سنة 1978 يمثلون مشكلة ربما يكونون المزاحم الخطير والمنافس الأبرز الذين سيختطفون الساحة الإسلامية والشباب الهائج الذي تماهى مع» الثورة «الإيرانية وشعاراتها البراقة، فراح الغنوشي يُزايد عليهم في مواقفه خطاباته وكتاباته.

5 - الأثر الكبير الذي تمتع به حزب الله بسبب ما يُروج ما قام به من عمل» بطولي «ضد المحتل اليهودي.

6 - تأثير القنوات الشيعية في التونسيين ومن أبرزها قناة»المنار «الفضائية حزب الله اللبناني.

ولكن أيضا نُثبتُ أنّ الغنّوشي كان ولا يزال السبب الأبرز وراء اختراق وخرق ونقض الوحدة الدّينيّة في تونس واستهدافها عن طريق الجهود المنظّمة لنشر التّشيّع في بلدنا خاصّة وفي بلاد العالم عامّة منذ سنة 1979، وهو الذي يعترف أنه لم يكن شيعة في تونس قبل ذلك التاريخ، فمن الذي غرس التشيع في تونس دونه في تلك الفترة؟ يقول الغنوشي:»أما بالنسبة لما جذبنا في الثورة الإيرانية، فنظراً لعدم وجود شيعة في تونس تعاملنا مع الثورة على أنها ثورة إسلامية»[1].

(1) راشد الغنوشي، من تجربة الحركة الإسلامية في تونس، ص 64.

وقد غرس الغنّوشي نبتة التّشيّع في تونس ومهّد لها من خلال دروسه العامّة وكتاباته بعد ثورة الفرس التي أشرتُ إلى بعضها في مجلة المعرفة خاصة. ولأنه أيضًا دخل في منافسة ومُزايدة مع «الإسلاميين التقدميين» الذين ساهموا في نشر كتب الشيعة وأفكارهم عبر مجلتهم 15 / 21 ومكتبتهم المُسماة «الجديد». ولذلك تأثر الكثير من أبناء الحركة الإسلامية منذ 1979 تاريخ» ثورة «الخميني، فكان تراب الزمزمي والتيجاني السماوي ومبارك بعداش من أبرز الذين تأثّروا بذلك، فتشيّعوا وشيعوا كثيرا من أهل الجنوب خاصة بعد استقالتهم من حركة الغنّوشي في بداية الثّمانينات من القرن الماضي وصاروا» زعماء «شيعة، وخاصة الأخير منهم بعدما كان المسؤول التّنظيميّ لحركة الاتّجاه الإسلامي، (النّهضة حاليّا) على كامل جهات الجنوب التّونسي، ووالله لقد تمدّد التّأثّر بالشّيعة في عبادات النّهضويّين حيث صار بعض قياداتهم الجامعيّة في تلك الفترة أن يتصنّعوا النّواح في أدعيتهم تشبّها بما يفعل الشّيعة تماما، وأحد هؤلاء هو موجودة في حكومة الصيد حاليا.

والسؤال الجوهري الذي ينبغي أن يُطرح ما الذي يأسر الغنّوشي وحزبه في الدّوران حول ولاية الفقيه الفارسيّة ويتآمران على تونس السّنّيّة وعروبتها وتراثها وتاريخها ويتركان الشّيعة يخترقون كل مؤسسات الدولة يرتعون في كامل البلاد يُشيّعون شعبنا ويصمتون عن تحطيم عقائدنا، بل نراهم يُهاجمون كلّ من يقوم بواجبه الشّرعي في تعرية المدّ الشّيعي وكشفه! فهل هؤلاء يهمّهم الإسلام؟

ما الذي يجعل الغنّوشي يساند المشروع الفارسي وينشر»محاسن الثّورة «الإيرانيّة في البلاد العربيّة والاسلاميّة؟ ولماذا» يلتصق «الغنوشي بإيران وكأنه حليف أبدي للشيعة؟ هل ثمة أمر ما يجعله مُكبلا بتلك العلاقة لا يستطيع أن

ينفك عنه؟ أسئلة مشروعة لأمر مُحير.

السبب الأبرز في ركوب الغنوشي موجة الثورة الإيرانية: إن ما يُسمى الثورة الإسلامية التي اندلعت سنة 1979 جاءت في أحلك فترة تاريخية سياسية للغنوشي الذي كان يُواجه إعصارا تنظيميا داخل» الجماعة الإسلامية «العقائدية المنغلقة على الولاء للسلفية فكرا والإخوان المسلمين تنظيما» النهضة حاليا «حيث تمردت مجموعة» مكتب العاصمة «وطعنت في شرعيّة الغنّوشي ودعت الى الانفتاح على كل مختلف تيارات الفكر الاسلامي والعالمي والقطع مع الإخوان، وقد كانت» الجماعة الإسلامية / النهضة اليوم « وقتها ـ جماعة تعمل دون قانون أساسي ودون ضبط لصلوحيات الغنّوشي» الأمير «الذي لم يُنتخب ويتصرّف كأمير المؤمنين الصّلوحيات المطلقة في تشكيل المكتب التّنفيذي والمشرفين على الجهات وأعضاء مجلس الشّورى، فما كان من الغنوشي إلاّ أن حلّ مكتب العاصمة وجمّد عضويّة المشرف عليها لأنّهم أرادوا قيادة حركة إصلاح ومراجعة وتجديد في جسم إخواني يختنق على تعبير صلاح الدّين الجورشي.

فالذي يمكن أن نُقرّره أنّ ما يُسمى الثورة الإسلامية في إيران أنقذت الغنّوشي من معضلة سياسيّة ضخمة ومن مأزق تنظيمي قاتل في تلك الفترة، فركب الموجة الإيرانيّة وسايرها وجامل الثّورة الإيرانيّة بل تبنّاها ليُشاغب ويكسّر بها شوكة» الإسلاميّين التّقدميّين «من جهة، وليشغل به الاتّجاه الإسلامي المُتكوّن من الشّباب الحماسي والعاطفي من جهة ثانية، وأيضا ليشدّ به التّيّار الطّلاّبي المغامر والمتهوّر من جهة ثالثة، وليقفز بالحدث ينجو به من مشكل تنظيمي داخلي مُهدّد من جهة رابعة، هذا فضلا عن تشغيل السّاحة الإسلاميّة بالحدث الإيراني في ظلّ فراغ مشروع غنّوشي واضح إلاّ إثبات حضور هائج وبروز مُلفت استجابة لدوافع نفسيّة واضحة حيثُ كان الغنّوشي مُتضايقا ممّا سمحت به السّاحة وقتها

من تنافس قويّ وشديد بينه وبين الإسلاميّين التّقدّميّين وأيضا من الدّاعية حسن الغضباني الذي كان مُزعجا جدّا للغنّوشي حيث كان أبرز خطيب مُفوّه ومؤثّر في تلك المرحلة، وكان مريدوه في الدّروس العامّة تفوق الأضعاف ما يجتمعون حول الغنّوشي، فكان لا بدّ من المزايدة على الأطراف الإسلاميّة الأخرى في الخطاب وفي جريدة المعرفة لكسب أكثر ما يمكن من المتعاطفين ومن الجمهور ومن تشغيل ماكينة الحزب الذي يحتاج إلى شحنها بخطاب سياسي تحريضي تهريجي.

فالمقصود أنّ تعلّق الغنّوشي بإيران والذّود عنها و عن إمامها وتبنّي بعض أفكارها التي أشرتُ إليها أعلاه، لم يكن وليد دراسة أو تخطيط أو رؤية واضحة، وإنّما هو نتيجة ركوب الموجة ليحلّ بها مشاكل تنظيميّة عاصفة للجماعة وللمشاغبة على خصومه وأيضا نتيجة التّأثّر الصّبياني بشعارات الثّورة الإيرانيّة دون معرفة مسبقة بالنّتائج الكارثيّة على بلد مُتميّز بوحدة عقائديّة سُنّيّة إمامها مالك بن أنس أحد أبرز أئمّة أهل السّنّة والجماعة. ولقد جنت تونس كوارث بسبب ذلك التّهوّر والحمق وها هي بلادنا اليوم قد اخترقها الشّيعة في كلّ مواقع التّأثير وخاصّة في الإعلام، ورجال الفكر والقرار.

وهكذا عندما يكون حبّ السّلطة وحلم الوصول إليها هو الهدف والمُحدّد لمسيرة أيّ شخص يستعمل كلّ وسيلة ويصير مُستعدّا للتّحالف مع من هبّ ودبّ ولو كان الشّيطان نفسه! ولقد كشفت ما يُسمّى» الثّورة «في تونس حقيقة الغنّوشي ونواياه إذ تبيّن بالمقال والحال أنّه مُستعدّ لكلّ شيء، لأنّ المهمّ عنده أن يصل إلى سدّة الحكم ويهدم الدّين ويُقاتل المُوحّدين بآسم الدّين! فما أخطره على العباد والبلاد!

خاتمة

إن من المُقرّر عند أهل السّنّة والجماعة أنّ الكلام في أهل البدع من أعظم الجهاد في سبيل الله عزّ وجلّ، وأنّ قول الحقّ فريضة، وأنّ تأخير البيان عند الحاجة لا يجوز، ولأن الغوغاء الجهلة عادة ما يُفتنون بالرّويبضات» المشاهير «الذين تصنعهم الكوارث، وراشد الخرّيجي شُهِر» الغنّوشي» من أبرز مشاهير الرّويبضات، وهو صاحب بدع خطيرة وضلالات عظيمة لا تُحصى ولا تُعدّ، حيث أمضى جزءا كبيرا من عمره ومن حكمه في تبديل معاني الدّين والتّصدّي للمتمسّكين بالكتاب والسّنّة ووصفهم بالمتطرّفين والمُتشدّدين بمقاييسه السّياسيّة الأمريكيّة والحزبيّة الإخوانيّة.

وأنا إذ أُبين بالأدلة تأييد الغنّوشي المزمن للدّين الشّيعي من جهة وللتّقارب مع إيران الصّفويّة من جهة أخرى، فلأنّني لا أجامل ولا أُداهن في ديني، ولذا فإنّه لا يهمّني سبّهم وشيطنتي لي، لأنّ كلّ الذي يهمّني هو الذّبّ عن ديني وإنقاذ تونس من كوارثه لعلّ الغافلين من أتباعه يستيقظون لكي لا تتكرّر في بلدي مآسي تحالف الإخوان مع الشّيعة الموالين لإيران التي دمّرت وخرّبت العراق وسوريا ولبنان واليمن التي لا تخفى على أحد. إنه لا بد أن نتصدى للضّرر الجليّ الذي أحدثه الشّيعة داخل الأمّة، كما لا بد أن نكشف أيضا أنّ العلاقات الحسنة التي يقيمها الإخوان المسلمون بطهران جريمة كبرى لم يستفد منها إلاّ إيران وأذنابها الذين يطعنون أهل السّنّة في الظّهر منذ سنة 1979 حيث يستغلّون تلك

العلاقة لنشر التّشيّع في أهل السّنّة في البلاد العربيّة خاصّة، ولقد اخترقت إيران تونس في كلّ مؤسّساتها بما فيها مؤسّسات الدّولة كالجامعة ووزارة الشّؤون الدّينيّة والتعليم وغيرها هذا فضلا عن الإعلام وما يُسمّى النّخبة.

ومساهمة منّي في درء ذلك خطر التّشيّع المُحدق ببلادنا، وسعيا منّي في تخليص المفتونين بالغنّوشي، وتبصير أتباع الهدى بحقيقة هذا الدّاعية إلى جهنّم، فجّرتُ بين أيديهم لغما واحدا له، وهو علاقته المشبوهة بإيران. من أجل ذلك، تناولت في هذه الأسطر بابا واحدا من أبواب ضلالاته الخطيرة وهو ما يتعلّق بعلاقته بالشّيعة دينا وبالحضور الايراني السّياسي والثّقافي في تونس الذي يمثّل مصدر تهديد خطير.

هذا هو حقّ الله تعالى ثمّ حقّ أُمّتي المُغرّر بها، وهو أيضا حقّ الشّباب خاصّة الذين ينبهرون بالشّعارات البرّاقة المخادعة التي أدمن عليها الذين احترفوا العمل السّياسي بالدّين. إنّها رسالة للأمّة ولشباب النّهضة أُبيّن لهم وأُقيم عليهم الحُجّة، وأُظهر المحجّة، لأنّ غالب أولئك الشّباب يفتقدون إلى العلم الشّرعيّ بدليله، فلم يقدروا على تصفية كلام رجالهم بالدّليل أو وزن أعمالهم بالتّنزيل.

هذه أقوال راشد الغنّوشي وكتاباته ومواقفه حجّة لي وعليه، جمعتُها بين يديك، ونثرتُها بين عينيك، ذبّا عن الإسلام من المُدلّسين وبيانا لأهل السّنّة في العالَمين، راجيا من ربّ العالمين، أن يهديه ويفيق من أوهامه ويلتحق بشيخه يوسف القرضاوي الذي صرّح بخطئه على تضييع أكثر من أربعين سنة في تيه التّقارب مع الشيعة والتحاقه بفسطاط العقائديّين في براءتهم من الرّوافض، وأن يحشرني في زمرة المُجاهدين بالحجّة والبيان، وصلّى الله وسلّم على سيّد ولد عدنان، شفيع الإنس والجان.

المحتويات

تقديم المشروع الإيراني في تونس 5
الدراسة الأولى تمدد الإمبريالية الإيرانية إلى تونس: الإسنادات والأدوات وما بعد الترسيخ 9
د. عبد القادر نعناع 9
أولًا: في طبيعة المشروع الإمبريالي الإيراني: 12
ثانيًا: الإسنادات التاريخية الإيرانية في تونس: 14
ثالثًا: الاختراقات الاقتصادية والدبلوماسية لتونس: 16
رابعًا: التوظيف الإيراني للمعطيات المجتمعية في تونس: 17
خامسًا: حملات التبشير الإيرانية في تونس: 20
سادسًا: إخوان تونس وإيران: 22
ما بعد الترسيخ الإيراني في تونس: 24
القضية الفلسطينية مدخل إيراني في تونس: 26
المصادر 30
الدراسة الثاني «الإخـوان» وإدخال التشيع إلى تونس.. راشد الغنّوشي نموذجًا 33
د. خميس بن علي الماجري 33
مدخل تاريخي 35
علاقات الغنّوشي القوية بالشّيعة: 50
المعضلات الغنّوشية هي نفسها معضلات أئمّة الشّيعة: 51
ترنّح الغنّوشي في مواقفه من الشّيعة: 55
أسباب تنامي التّشيّع في تونس 59
خاتمة 64